1

هذا كتاب الجزء

الأول من القناطر في الفقه

ou El Kanater
Le Pont

Cheikh Ismail El Djitali

La Copie de l'original a été terminée dans la dernière décade de Rebia 1er 1077 par Yahia ben Abi l'Kassem el Berrani (peut-être el Barouni) de la secte Hadhite.

Haut. 205 - larg. 149 - Écriture barbaresque ordinaire peu élégante mais très lisible - Quelques feuillets sont piqués - 28 cahiers à 10 f. (20 p) - 21 lig. à la page.

Ses trois derniers feuillets ont au haut des taches de moisissure et aux angles intérieurs d'en haut des taches violettes

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

قال الشيخ أبو طاهر إسماعيل بن موسى الجيطالي النفوسي رحمة الله عليه

الحمد لله المتوحد بالألوهية والكبرياء المتعزز بالربوبية والبقاء المتقدس عن تقلب الحالات، المتعالي عن العيوب والآفات، خلق كل شيء بقدرته واخترع الأشياء وصورها، خضع كل شيء لهيبته، وتواضع كل شيء لعظمته وذل كل شيء لعزته، واستسلم كل شيء لجبروته، لم يزل عالما بجميع المحدثات على ما هي عليه من الصفات، من تفاصيل أجناسها، ومجاري أنواع أصنافها قبل وجود أعيانها وجريان أزمانها، أنشأها الحكيم في أزليته بقدرة على وحكم مشيئته، ليس له شريك في إنشائها، ولا ظهير في إيجادها، بلا من شيء معه موجود، وابتدعها على غير مثال معهود، اخترعها دالة على قدرته وتحقيقا لما سبق من إرادته، وما خلق الجن والإنس إلا لعبادته، عالم في الأزل بما هم عاملون، وبآجالهم التي إليها ينتهون، وبأرزاقهم التي هم لها آكلون، وهم لما علم منهم منقادون، وبما سطر في كتابه المكنون ماضون، فجميع ما جرى به العلم من جميع الأشياء والأمم، فقد سبق من الله القضاء وجف به القلم، فالآجال محدودة والأنفاس معدودة، والأرزاق مقسومة، والأعمال محفوظة، والآثام محسوبة وفي اللوح مكتوبة، لا يتأخر شيء عن أجله، ولا يسبقه قبل حلول محله، ولا يعوقه أمر

ارزم

ورزقه المقسوم، ولا يتعدى ما قدر له من الامر المحتوم، سبقت كلمته الحسنى
لعباده المرسلين، واوليائه المخلصين، كما سبق القول منه بالغواية للغاوين، بل كل ميسر لما خلق له
ولا يتجاوز ما وفق له، يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون، واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون،
احمده حمد من اخلص منه الانابة، وادعوه دعاء مؤمل منه الاجابة، واشهد ان لا اله
الا الله الملك المحمود، الذي ليس بوالد ولا مولود، واشهد ان سيدنا محمدا عبده المرتضى، ورسوله
المصطفى، ارسله الى الثقلين بشيرا ونذيرا، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا، فبلغ رسالة
ربه، ناصحا لامته، حتى اتاه من ربه اليقين، بعد كمال الدين، صلى الله عليه وعلى اله الطيبين
الاخيار، واصحابه المهاجرين والانصار، والتابعين لهم باحسان الى يوم تشخص فيه الابصار،
اما بعد فقد انكشف لارباب القلوب بحقائق الايمان، واوضح محجة الدين ان
لا وصول للعبد الى السعادة الابدية الا بالعلم وامتثال العبادة الزكية، وهما بضاعة
الاولياء، ومنهاج الاتقياء، وهما دين الله القويم، وصراطه المستقيم، لاجله خلق الموت
والحياة، وبسببه نال عمرة النجاة، ولكنه طريق صعب المسالك، خفية المهالك، كثيرة
العوائق والموانع، غزيرة الاعداء والقواطع، بعيدة المسافات، كثيرة الافات،
ذات شعاب واودية، وعقبات واهوية، محفوفة باللصوص والقطاع، مشحونة بالاعادي
والسباع، تنبعث فيها الشياطين الموسوسة، والغيلان المختلسة، قد شبكت بالاشراك
الغائلة، ومزجت بالسموم القاتلة، وهكذا يجب ان تكون لانها طريق الى الجنة دار
الحبور والجوهر المكنون، تصديقا لقول الرسول عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت

النار بالشهوات ؛ ومع ذلك ان الله سبحانه خلق الانسان ضعيفا ؛ فحمله ثقل الامانة تكليفا ؛ ثم
ووجب عليه اتقان حمل تلك الامانة بالعلم والعمل ؛ والتشمير في اداء حقها بالجد لا بالكسل ؛
فمن الانسان قوي ؛ والنافذ لاعماله رضي ؛ والجاهل مع اتباع الهوى عليه غالب ؛ والآفات
محدقة به من كل جانب ؛ والاجل في غاية عن عزيز ؛ والسفر بعيد صعب خطير ؛ والطاعة هي
الزاد فلا بد منها ؛ والدنيا منسوقة فلا غنى له عنها ؛ فمن ظفر بالزاد منها سهل عليه على الصراط
الجواز ؛ فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز ؛ ومن عدم من الطاعة نصيبه ؛ طال عليه في
سفره النصب ؛ ودام عليه في النار الوصب والعذاب ؛ فلهذا الخطب الفظيع والهول
الشنيع ؛ فمن السالكين المنتهي في الجد والتحقيق ؛ ومنهم من بذل في بدايته من النفيس بعض
المجهود ؛ فطال عليه التعب فانقطع ولم يصل الى المقصود ؛ الا الاصفياء المخلصين الذين انعم الله
عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ؛ فلنذكر فصلا كان الارفق عسى
ما وصفنا من المشقة والمخافة ؛ والشهوات والمردية ؛ والعقبات المؤذية ؛ واحببنا
ان نرتب عليها قناطر التي يكثر بها الكثير عليها العبور ؛ حتى تفضي بهم ان شاء الله
الى عرصة السرور ؛ وذلك ان الله سبحانه نقل بني آدم من اصلاب الرجال
الى بطون الامهات ؛ فخلقهم فيها خلقا من بعد خلق في ظلمات ؛ ثلاث فاخرجهم الى
الدنيا جهالا ؛ فاحياهم بالعقول بلغا وجهالا ؛ فاقنا زوادها على البهائم فضلا وامتن
جملة العقلاء ؛ وهم الملائكة الفضلاء ؛ فالزمهم عن كمال العقول التكليف ؛ وقدم
اليهم على السنة رسله بالانذار والتخويف ؛ وجعل لهم الارض ذلولا ؛ وبين انشا

وجاهدها

وقبائحها محاسنها ∴ لا يستغرقوا فيها بل يتحرزوا منها ويتقوا وعوا منها زادا
وعملا ∴ فيتحرزون من مصائدها ومعاطبها ∴ ويتحققوا ان الاعمار فيسير بهم سير
السفن بركابها ∴ فهم في الدنيا سفار ∴ وباعمالهم تجار ∴ فاول منازلهم القبور وآخرها
المحشر ∴ والموطن الجنة والنار والجسر ∴ مسافة السفر ∴ والمضمون مراحله ∴ والايام
اقياله ∴ والانفاس خطواته ∴ والطاعة بضاعته ∴ والاوقات رؤوس امواله ∴ و
الشهوات قطاع طريقه ∴ وربح الفوز بلقاء الله في دار النعيم المقيم ∴ وخسرانه
البعد من الله تعالى في دركات الجحيم والعذاب الاليم ∴ وان ما دون الجنة من فقد الحس
فتنغص والفزع الاكبر التي القبر الذي فيه هول المطلع ∴ معابر محفوفة بالاهوال
الفظيعة ∴ والافزاع الهائلة الشنيعة ∴ من صحف تنشر ∴ ونار تزفر ∴ واعمال توزن
فترجح او تخف ∴ وقلوب تفزع وترجف ∴ وعقارب في القبر تلدغ ∴ وحيات تلسع وملائكة
تتخطى وجوارح تنطق فيتحقق بهذا الترتيب العجيب ان الفطون للخلق مقامات
والرقيا لهم مسافات وما بعد الموت الى البرازخ من الحساب اخطار مهولات ∴ ثم ان الله
سبحانه شرع ملة الاسلام طريقة سهلة حنفية سمحة رتب فيها مراتب
من التوحيد والصلاة والصوم والزكاة والحج وغير ذلك فكانت هذا قناطر منظمة
وحرم فيها اشياء من الشرك والظلم والفواحش والربا والغرر وغير ذلك مما يطول
ذكره فكانتها للعمر صواعق مهلكة وامور عظام ∴ بقمع الشهوات ودفع العلائق
الشاغلة عن طاعته من اصناف الخلق والهوا والنفس والدنيا فكأنها عقبات

واودية وشعاب ملتهبة عايقة للعبد عن سلوك الطريق الى الله تعالى قاطعة
له من المسلمين وامرهم بالاستعاذة به تعالى من الشياطين الموسوسة من
الجن والانس كانها افاعي مستترة وعقبان مختلسة واوجب عليهم تطهير
القلوب من مغارس الفواحش والخبائث من الشك والشرك والسخط و
الغرور والغل والحسد والكبر والكبرياء والغضب والعداوة والبغضاء و
الطمع والبخل والرغبة والبذخ والاشر والبطر وتعظيم الاغنياء والاستهانة
بالفقراء والمكر والخداع والغش وسوء الظن والخيانة والبخس والحيلة والتنا
فس والمباهاة والاستكبار عن الخلق والانفة عن قبول الحق والعصبية
والمداهنة والعجب وحب الرياسة والاشتغال عن عيوب النفس بعيوب
الناس وزوال الحزن من القلب وخروج الخشية منه وشدة الانتصار للنفس
اذا نالها الذل وضعف الانتصار للحق واتخاذ اخوان العلانية على عداوة السر
والامن من مكر الله في سلب ما اعطى والاتكال على الطاعة وطول الامل والقسوة
والفظاظة والفرح بالدنيا والاسف على فواتها والانس بالمخلوقين والوحشة
لفراقهم والجفا والطيش والعجلة وقلة الرحمة والاصرار على المعصية التي هي ذالا
فهذه وامثالها كلها سموم قاطعة واشراك لابليس خاتلة وامر
بحفظ اللسان عن الكذب والغيبة والنميمة والهمز والغمز واللمز والطعن
في المؤمن واللعن لمن لا يستحق والشتم والازراء والقذف وبهتان البرئ
داخ

والحكم بغير ما انزل الله وقول الزور والنطق بالفحشا والتغني والنياحة والخوض
فيما لا يعني والاشباه ذلك مما تاخذها الاعمال فيه ان مشتغلة ونزهه
عن الغيبة واخذ الحذر من مكايد النفس وغرور الشيطان وتزكية النفس والرضا
عنها الى غير ذلك مما تاخذها حبايل غايلة للانسان وامر بغض البصر عن المحارم
وحفظ الفروج وصيانة السمع عن جميع ما لا يجوز التكلم به وحفظ البطن
عن جميع ما لا يحل اكله ولا مشي به الى غير ذلك من القبائح وامر بعمارة القلب
واللسان بذكره عز وجل والصبر والشكر والخوف والرجا والرضا والزهد
والتقوى والقناعة ومعرفة منته عليه في جميع الاحوال والاحسان وحسن
الظن والتعظيم والمعرفة وحسن المعاشرة والصدق والاخلاص والامر بالمعروف
والنهي عن المنكر والقول بالحق واشباه ذلك من جميع اجزاء الايمان
المتفرقة وذكر المتعلق بفرايض الاسلام فقال ولكن البر من ءامن
بالله واليوم الاخر والملايكة والكتاب والنبيين وءاتى المال على حبه ذوي
القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وفي الرقاب واقام الصلاة وءاتى
الزكوة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في الباساء والضراء
وحين الباس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون ثم ذكر المحارم
فقال النبي عليه السلام قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا
وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا

الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم
وصاكم به لعلكم تعقلون ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ
اشده واوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها واذا قلتم
فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله اوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون
وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فالواجب على العباد
امتثال الاوامر الاول والاحوال واجتناب محارمه والسؤال عنها حتى يعرج
ويجتنب ولا يتمثل وحضهم على كتاب السنة وتطهير الافئدة لكي تصح الاعمال
ولا تبطل فقال تعالى اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم الاية
وقال ولا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وقال يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من
اتى الله بقلب سليم وقال اولائك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم الاية وقال
ان الله يامر بالعدل والاحسان الاية وقال وذروا ظاهر الاثم وباطنه وقال النبي
عليه السلام قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن الى قوله ما لا تعلمون
فلما كان الامر على ما وصفنا كان ينبغي لنا ان نرتب على طريق الاسلام
قناطر كما فعل قبلنا ليسلك المسترشدون عليها ونبين لهم مسالكها من العلم
ليقاتلوا بها ونبين لهم طرق عفافهم من الصبر وفطام النفس والحلم والقناعة
الى غير ذلك حتى يتجنبوا مرارة الدنيا بالزهد فيها وتنفتح قلوبهم
بصحيحها ان يخونوا ويحترزوا لاشتغال حتى يتمكنوا من الهرب من النار وفوزهم

ونزعجهم بازعاج الرجا والشوق الى الجنة ونعيمها الى غير ذلك مما يطول به
الكتاب ولهذا الخطر العظيم والخطب الهائل الجسيم شمر الموفقون على ساق
الجد ودعوا بالكلية على ملاذ النفس واغتنموا بقايا الاعمار قبل ان يزعجوا
عن هذه الدار جعلنا الله واياكم من الموفقين لعلم دينه العاملين به انه ارحم الراحمين

فصل في ترتيب فقه الاسلام

اعلم ان الله سبحانه خلق بني ءادم اطوارا في الرحم ونفخ فيه الروح والتام بحكمة
هذا الامر ليس له علم بشيء من الامور التي تحسن به بستلزمه وبريتها لم فلما خرج من
بطن امه وجرت الحركة في مفاصله ابصر وذاق وشم وسمع وذلك قوله تعالى والله اخرجكم
من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا الاية فخلق الله تعالى به ملك اليمين يكتب حسناته ويسطرها
ويحفظه ويؤيده فحضر ملك سبع سنين قرن به الملك صاحب الشمال يلهمه ويلقنه
ويعلمه ويلسنه الى تمام اربعة عشر سنة فلما ظهر في الكلام استقبلته القياسات
الخيالية واختلطت له بالعقلية فاذا نظر الى السماء وتوهمها بساطا اخضر تنزه
عليه ذاتا بشي صغير فلما قويت نفسه وبلغ حسه ذهب الخيالي هباء منثورا وبقي
العقل اميرا ماموروا وهو قوله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم
النذير فتعين حينئذ عليه التكليف ووجب عليه معرفة خالقه الرحيم اللطيف
وفهم بعقله الذي هو من حجج الله على المكلفين مع ساير حججه من الانبياء والمرسلين
واصناف الخلق اجمعين فاما من فاته الرفق بين يديه كلاهما وعازه ملكته وبالجهالة

من لهمز فاذا فيها اصناف الحيوانات المؤذية فيه استقبلته فيقال للاعمى
في سلوك هذه المفاوز الا بمصباح نور يكون في يده ليسلم عن آفات ما اتقى وما ينفع
فيستقبله بما فيها فطرة العلم بالله وهي الفطنة الاولى
وان يصل الى ذلك الا بتنبيه مخبر او الهام ملهم فيوقف عقله على التفكر
والبحث والنظر فيتفكر في الدليل من خلق السماوات والارض وما فيهما و
ما بينهما من روح وجسد وجوهر وعرض ويتفكر في اختلاف الليل والنهار
وما يجري به الدهر من الاكوان والحادثات من الخير والشر والنفع والضر والشدة
والرخا وغير ذلك فيستدل بالصنعة على الصانع فيعلم يقينا ان الصنعة لا بد
لها من صانع وان الخلق لا بد له من خالق ثم يمعن النظر في خلقة نفسه وتسوية
جوارحه وما افاض عليه الرب سبحانه من اصناف النعم من الحياة والعقل والفهم
والسمع والبصر والشم والذوق وغير ذلك مما لا يحصى كثرة من المعاني الشرعية
واللذات وما صرف عنه من اصناف المضار والآفات فاذا امعن النظر بعين البصيرة
لا بعين البصر علم ان لهذه الصنعة صانعا ولهذه النعمة منعما حيا قادرا عالما
باسراره وما يختلج في افكاره فيه وعرف على شكر النعمة ثوابا وعلى كفرانها عقابا
وانه ان غفل عن شكره وجحد منته ازال عنه تلك النعمة واذاقه الباس والنقمة عاجلا
فيحتاج حينئذ لا محالة في قلبه خاطر الفزع الذي ينبه عليه في عقله وتلزمه
الحجة وينقطع له العذر ومخاطبه مع سائر الحجج من كتاب الله ورسوله ::
معتبر

فحضرة ذلك استقبلته الفطرة الثانية وهي فطرة الايمان

بصفة الصانع الخالق الرازق المنعم انه خالقه ورازقه وطالبه فوجده وعرفه
بحق ما جهله فيومن به ايمانا يقينيا بالقلب واللسان ويدوم على ذلك
الى الممات ويوحده توحيدا خالصا في ذاته الامور كلها من الخير والشر والنفع
والضر رؤية يقطع بها التفاته الى الوسائط والاسباب وهذا التوحيد والايمان
والعلم هو العطا الذي يضرب بها سيق السماع الذي استقبلته حين اشرف على
معاينة الرقيا المظلمة بالجهل فيقتله فيفنى في عقبه سائر الدواب المؤذية التي هي
مادون الشرك من الذنوب تحقيقا لقوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر
لهم ما قد سلف بل ما عرف العبد سيده ووحده وامن به وعلمه بعد ما
جهله تيقن انه قد اوجب عليه خدمته وطلبه شكر نعمته ولاكنه لا يدري
كيف يخدمه وماذا يلزمه من خدمته بظاهره وباطنه بعدما حصل هذه المعرفة

فاستقبلته الفطرة الثالثة وهي فطرة الصلاة مفروضة من

عند الصباح في نزول الوحي اول الاسلام لا في حالة التكليف والالزام لان العبد
مامور بجميع الفرائض منهي عن جميع المعاصي في حالة البلوغ فيوجب عليه
عند دخوله في فترة الايمان بجميع وظائفها علما وعملا لانه لما عرف سيده وجب
عليه ان يخضع له ويخشع ويذعن له بجميع العبودية ويجتمع بلا عبادة تجمع
الخضوع والخشوع والابتهال الى الله سبحانه والتضرع اليه مثلها فيجب على

العبد الوقوف بين يدي سيده المتحرمة بالطهارة الكاملة والخشوع
التام فيعفو له بعض عنه ويرضى عنه فاذا واظب على الصلاة اورثته ذلك
لين الفؤاد وتمرين الجسد وتذليل النفس اجلالا لخالقها وانزالا للراء فهذا
فائدتي الصلاة راغبا راهبا .: استقبلته النفحة الرابعة
وهي فطمة الصوم عن حلول شهره ووجوب فرضه مقرونا فرضه في النزول
على الزكاة ايضا لان القبوض على الاموال الشح وبما يتعلق بالابدان اسمح وذلك
الصلاة والصيام لان في ايجاب فرض الصيام حثا على رحمة الفقراء واطعامهم وهم
جوعانهم فيما فرعانا العمر وقاساه من شدة المجاعة ولان الصوم يقهر
النفس ويكسر شهوتها المستولية عليها ولهذا قال عليه
السلام معاشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع
فعليه بالصوم فانه له وجاء فوجب على العبد احكام الصوم بجميع شروطه
وكف جوارحه عن المحرم عليه ظاهرا وباطنا لان المقصود من الصوم عند اهل
التحقيق التخلق بخلق من اخلاق الملائكة في الكف عن الشهوات بحسب
الامكان لانهم منزهون عن الشهوات والانسان رتبته فوق رتبة البهائم
بقدرته بنور العقل على كسر شهوته ودون رتبة الملائكة لاستيلاء
الشهوات عليه وكونه مبتلى بمجاهدتها فكلما انهمك في الشهوات انحط
الى اسفل سافلين والتحق باعمار البهائم وكلما قمع الشهوات ارتفع الى اعلى

عليين

عليه والتخلق باخلاق الملائكة المقربين الى الله تعالى قرب صفات لا قرب
مكان والاكثار فيتشبه باخلاقهم فيتشبه الى الله تعالى فقربهم فهذه
حقيقة الصوم عند اهل التحقيق فاذا اتى العبد بفريضة الصوم على الكمال
استقبلته القنطرة الخامسة وهي قنطرة الزكاة
كما ورد في الخبر الزكاة قنطرة الاسلام فقدم الله تعالى فرضها لان في الحج
مع انفاق المال سفرا شاقا فكانت النفس الى الزكاة اسرع اجابة منها الى
الحج فكان في ايجابها مواساة للفقراء ومعونة لذوي الحاجات تكفهم
عن البغضاء والتقاطع وتبعثهم على التوادد والتواصل مع ما في ادائها
من تمرين النفس على السماحة ومجانبة الشح المذموم لان السماحة تبعث على
اداء الحقوق والشح يصد عنها لان الله تعالى امتحن عباده حين ادعوا محبته
ان ينفقوا اموالهم المحبوبة عندهم فيكون ذلك تصديقا لدعواهم ولذلك
قال لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاستنزلهم عن المال الذي تعشقوه
وعن النفس التي هي غاية محبوبهم وقال تعالى ان الله اشترى من المومنين
انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وذلك بالجهاد وهو سماحة بالمهجة
بالنفس تشوقا الى لقاء الله تعالى والمسامحة بالمال اهون فاذا اخرج العبد
من ماله فريضة الزكاة بكمال حقوقها الى المستحقين لها استقبلته
القنطرة السادسة وهي قنطرة الحج ان الله سبحانه فرض

على العباد لانه يجمع عطاء على بدن وحقا في المال جعل فرضه بعد استيفاء رغائبه
الايثار وقرائبه الاموال ليكون استيناسهم بكل واحد من النوعين ذريعة
الى تسهيل الجهاد عليهم لانه يجمع النفس والمال كالحج وكان في ايجابه الحج
تذكيرا لسعي الاخرة في مفارقة المال والاهل وخضوع العزيز والذليل في الوقوف
بين يديه واجتماع المطيع والعاصي في الرهبة منه والرغبة اليه واقلاع اهل
المعاصي عما اجترحوه وندم المذنبين على ما قدموه لانه قل من حج الا واحدث
توبة من ذنب واقلاعا عن معصية واذا ادى العبد فريضة الحج على الكمال خرج
من ذنوبه كيوم ولدته امه فهذه الخمس هي قواعد الاسلام مجامع
في الخبر بني الاسلام على خمس الحديث وهي اصل العبادة والاتيان بهن على
الكمال علامة السعادة فاستشعر ضاهيا للزكاة فقطعية الجهاد لانه من
فروض الكفاية داخل في فريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على قدر درجاته
الثلاث وهذه البواعث الخمس اصلها واساسها الذي تنبني عليه هو
التوحيد والايمان والاخلاص لانه لا تصح العبادة الا بالايمان ولا يصح الايمان الا بالعلم
ولا يصح العلم الا بالطلب ولا يصح الطلب الا بالارادة ولا تصح الارادة الا بباعث
يبعث عليها والباعث هو الرغبة في ثواب الله والرهبة من عذابه
ولا يصح ذلك الا بالوعد او الوعيد ولا يصحان الا بالشرع ولا يصح الشرع الا بصدق
الرسول وصدق الرسول يصح بالمعجزة لان ظهور المعجزة انما هو باذن الله سبحانه
وتعالى

وتعالى مالك الخلق والامر تبارك الله رب العالمين فصل فلما استكمل
العبد هذه البواعث وتحققت له الغيوب كما وصفنا انبعث قلبه ليتجرد
للعبادة فنظر فاذا هو صاحب ذنوب وتباعات فيقول كيف اقبل
على العبادة وانا مصر على المخالفة والمعاصي فيجب علي اولا ان اتوب
الى الله تعالى ليطهرني من اقذار الذنوب ويصلح لخدمة علام الغيوب ٭٭٭
فتستقبله ههنا عقبة التوبة وهي العقبة
السابقة فيحتاج لا محالة الى قطعها ليصل الى المقصود من
العبادة فياخذ في اقامة التوبة بحقوقها وشروطها الى ان قطعها
بجميع وظائفها كما سياتي ان شاء الله تعالى فلما فرغ من هذه العقبة حن
الى العبادة لياخذ فيها فنظر فاذا حوله عوائق محدقة كل واحد منهن
تعوقه عما قصد من العبادة وتشغله بضرب من الشواغل فتستقبله
ههنا عقبة العوائق فتامل فاذا هي اربع احداهن فعقبة
الدنيا المتعلقة به فيحتاج الى قطعها بالتجرد عنها والزهد فيها لان الدنيا
والهمة ضرتان ان اسخطت احداهما ارضيت الاخرى وانهما كالمشرق والمغرب
بقدر ما يدنو الى احداهما يبعد عن الاخرى وليبعد عنهما فاحتاج الى
قطعها بالزهد فيها والتجرد عنها لا فرد الزاهد فلا بد منه كما سياتي ان شاء الله
تعالى الثانية فعقبة الخلق لاهل الرغبة والبطالة واهل الشر

والجهالة فيحتاج الى قطعها بالتبعد عنهم والهرب من لقائهم ان عم البلد
او خشي هلاك دينه او يحتمل اقوالهم بقلبه وجعله ويحضر الجماعة
والجمعة معهم ويوفيهم حقوقهم من صلة وزيارة وحضور ميت كما سياتي
ان شاء الله الثـــالثة عقبة الشيطان فيحتاج الى قطعها بالقهر
والمحاربة والاستعاذة بالله منه والمخالفة له لانه عدو لا مطمع فيه لمصالحة
ولا ابقاء لانه لا يقنعه الا هلاك العبد اصلا فلا وجه للامن من هذا العدو
والغفلة منه الرابعـــة عقبة النفس وهي اعدا الاعداء واشدها
على العبد اذ هي بين جنبيه لا يمكنه التحرز منها بالكلية ولا
مطمع ايضا في موافقتها على ما يقصد من الاقبال على العبادة اذ هي
مجبولة على ضد الخير امارة بالسوء والشر فيحتاج اذا الى ان يلجمها بلجام
التقوى لتبقى له فلا تنقطع وتنقاد له فلا تطغى فيستعملها في المصالح
والمراشد ويمنعها عن المهالك والفساد فياخذ في قطع هذه العقبة
بالسياسة والاعتدال فيرفع من شهوات النفس ما خرج عن طاعة الشرع
والعقل ويترك لها ما لا يخرج من الشرع والعقل فلا يتركها لكل شهوة ولا
يتبع كل شهوة فلـــما فرغ من هذه العقبة وقطعها بحسن عون الله
وتوفيقه رجع الى العبادة فتلقاه اذا عوارض تعترضه عن العبادة
وتشغله عنها كما ينبغي فيستقبله ها هنا عقبة العوارض فهنا مل

بادا

فاذا هي اربعة احدها الرزق تطالبه النفس به وتقول لا بد لي من
رزق وقوام وقد تجردت عن الدنيا وتفردت عن الخلق فمن اين يكون قوامي
ورزقي الثاني الاخطار من كل شيء تخافه وترجوه وتريده او تكرهه ولا يدري
الصلاح في ذلك من الفساد فان عواقب الامور مبهمة فانه ربما يقع
في فساد او مهلكة الثالث الشدائد والمصايب تنصب عليه
من كل جانب لا سيما وقد انتصب لمخالفة الخلق ومحاربة الشيطان ومجاهدة
النفس فكم من غصة يتجرعها وكم من شدة تستقبله وكم من هم وحزن
يعترضه وكم من مصيبة تتلقاه الرابع القضا من الله سبحانه بالحلو
والامر يرد عليه هكذا والنفس تسارع السخط وتبادر الفتنة فاحتاج
الى قطع هذه العوائق الاربعة باربعة اشيا بالتوكل على الله
سبحانه في موضع الرزق وبالتفويض للامور اليه في موضع الاخطار وبالصبر
عند نزول الشدائد وبالرضا عند نزول القضا فلما قطع هذه العقبة
بما ذكرنا باذن الله وحسن عونه رجع الى العبادة فنظر فاذا النفس فاترة
كسلانة لا تنشط ولا تنبعث للخير والعبادة كما يجب وينبغي
وانما ميلها ابدا الى غفلة ودعة وبطالة بل الى شر وفضول وبلية وجهالة
فاحتاج معها هنا الى سايق يسوقها الى الخير والطاعة ويشوقها له
والى زاجر يزجرها عن الشر والمعصية ويقعدها عنها وهما الرجا في ثواب الله

والخوف من عذابه مع توابعهما من الحزن والاشفاق والشوق والمحبة
فصل ههنا عقبة البواعث بالكمال فاحتاج الى قطعها بالخوف
والرجا كما قدمنا فلما قطعها بحسن عون الله وتاييده وقع الى العبادة
فصل فعقبة العبادة بالكمال فيجد نفعها بالشوق والاجتهاد
اذ لم ير شيئا شاغلا ولا عائقا ووجد باعثا وداعيا فنشط في العبادة واقامها
بتمام الرغبة فاذا تامل فاذا بهذه العبادة التي اعتمل فيها بكل ذلك آفتان
عظيمتان وهما الرياء والعجب تارة يرائي الناس بطاعة الله فيفسدها وتارة
يمتنع من ذلك ويلزم نفسه فيعجب بها فيحبط العبادة عليها ويتلفها
فصل ههنا عقبة القوادح في الاعمال المبطلة لها فاحتاج
الى قطعها بذكر المنة والاخلاص ونحو ذلك ليسلم له ما يعمل من خفي وعجب فلما
قطعها بجد واحتياط وحسن عصمة الله وتاييده فلما فرغ من هذا كله حصلت
العبادة وسلمت من كل آفة ولكنه نظر فاذا هو غريق في بحور منن الله
تعالى وكثرة اياديه من امداد التوفيق والعصمة وانواع التاييد والحراسة
فخاف ان يكون منه اغفال للشكر فيقع في الكفران فينزل عنه تلك النعم الكريمة
من انواع الطاف الله تعالى وحسن نظره فصل ههنا
عقبة الحمد والشكر على كثرة نعمه تعالى فاذا فرغ من هذه العقبة نظر فاذا هو
بمقصوده من العبادة بين يديه فلم يبق الا قليلا حتى وقع بميدان الانس

والرضا

والرضا وبساتين المحبة واللقاء وصحارى الشوق وعرصات المعرفة ومجالس المناجاة
فهو يتنعم في لذة العبادات وبساط المجاهدات أيام حياته وبقية عمره فتارة
يتنعم بلذة الشوق والمحبة ويتلذذ بحلاوة الرجاء والطمع وتارة ينغص بخوف
الخاتمة فبينما هو في دار الموت راغبا راهبا ويتوقع الفزع على المستقبل آفة
مطمئنا فيكابد هاهنا قنطرة خوف الخاتمة قال فبينما العبد في جهد
في الدعاء والتضرع ويتنعم في المجاهدة والتخشع وفي دار الخاتمة بالخوف
والقلق خائفا من حرقة الطرد والإهانة ووحشة البعد والضلالة ومرارة
الحرمان والندامة وقد خاف جملة القناطر وأفسح له الغائب بالعلوم والبصائر
وقد طهره الله سبحانه من الأوزار والكبائر وصفت العوائق الشاغلة ودفع عنه
نفسه العوارض المانعة وطهر بالبواعث والزواجر وسلم من العوائق المبطلة
فبينما هو على هذا إذا أشرف على قنطرة الموت فشغله في الدنيا وأرضى
قلبه في العقبى سماوية وقد استغفر الدنيا وحن إلى العالم الأعلى واستبطأ
البريد واشتاق إلى اللقاء فبينما هو كذلك إذا برسول رب العالمين قد ورد
عليه بالروح والريحان والبشرى والرضوان من عند رب راض غير غضبان فتلقاه
في طيب النفس وتمام البشرى والأنس من هذه الدار الفانية المغنية إلى
الحضرة الإلهية والجنة العالية فيكون القبر له روضة من رياض الجنة ويوفق
للصواب عند امتحان الملكين إياه بالسؤال والفتنة ويعرض رزقه على مقعده
من الجنة في كل غدوة وعشية فإذا بعث من قبره حمل على نجائب الكرامة

وامنا من الفزع الاكبر واهوال يوم القيامة ويكون وجهه كالقمر ليلة
التمام مع ما يلقى من البروق الكرام وياخذ بيمينه صحيفة العمل ويكسى من
فاخر الحلي والحلل ويحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى اهله مسرورا و
يجوز قناطر جهنم بنور ساطع على تلك الظلام المدلهم ويساق الى الجنة
محبورا ويسقيه الرب سبحانه شرابا طهورا في ملك كبير ونعيم
عظيم بجوار الرحمان في رياض تلك الجنان مع الذين انعم الله عليهم من
النبيين والصديقين والشهداء والصالحين في مقعد صدق عند مليك مقتدر
فيا لها من سعادة ما اعظمها وكرامة ما ادومها فنسأل الله البر
الرحيم المنعم الكريم ان يمن علينا وعليكم معشر الاخوان بهذه الطريقة
المستقيمة حتى يوصلنا بها الى هذه الكرامة العظيمة والنعمة الجسيمة
وان يجعلنا من الذين لهم نصيب لهم من هذا السعي المشكور والجزاء الموفور
لا وصفا وسماعا وتمنيا لا انتفاعا واليه نرغب ان يجعل ما تعلمنا حجة علينا
واياه نسأل ان يوفقنا جميعا للعلم والعمل كما يحب ويرضى انه ارحم
الراحمين واكرم الاكرمين فصل ثم اعلم بالتحقيق انه ليس هذا الطريق
في طوله وقصره وقناطره الذي نبه عليه مثل المسافات التي تسلكها الانفس
فتقطعها باقدام الاجسام فيقع قطعها على حسب قوة الاجسام وضعفها
وانما هو طريق روحاني تسلكه القلوب فتقطعه بالافكار على حسب
العقائد والبصائر اصله نور سماوي ونظر الهي يقع في القلب لمن سبقت

له

له من الله العناية الأزلية فينقطع العبد به في لحظة فيرى بها أمور الربوبية
بالحقيقة فقسم هذا النور فما يطلبه العبد في سنة بل مائة سنة
فلا يجده ويعطى في اللحظة الواحدة سبعين سنة ولا يعطيها لغيره ويصبح
ويمضي ما أقام هذا الطريق وأشكله وأعسر هذا الأمر وأعضله وذلك
لخطايه في الطلب وتقصيره في الاجتهاد وجهله بالطريق وآخر يجده
في خمسين وآخر في عشرين وآخر في يوم واحد وآخر في ساعة ولحظة
على ما قسم له من عناية رب العزة وتوفيقه الأتم كما لأصحاب الكهف
كان مدتهم في هذا الطريق خطرة إذ رأوا التعجيب في وجه ملكهم دقيانوس على ما
حكي في الخبر فقالوا ربنا رب السماوات والأرض وكذلك سحرة فرعون ما كان
مدتهم اللحظة حين رأوا معجزة موسى عليه الصلاة والسلام قالوا آمنا برب
العالمين رب موسى وهارون الآية فاتبعوا الطريق في ساعة أو أقل فصاروا
من العارفين بالله الراضين بقضائه الصابرين على بلائه فإن قلت
فلم اختص هؤلاء بالتوفيق وحرم غيرهم وهم جميعا مشتركون في ربقة
العبودية فاعلم أنه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون لكن العبد مأمور
بالاجتهاد والأمر مقسوم والحكم العدل يفعل ما يشاء فنسأل الله تعالى
أن لا يحرمنا ذلك بمنه وكرمه فصل ثم اعلم يقينا أن من سبق له من الله تعالى
التوفيق وأودع قلبه نور الهداية على التحقيق حتى عرف فضيلة أرض نفسه
ووقفه العناية بحرمتها حتى ينظر إليها فيراها أرضا أريضة ذات مياه نابعة
وأشجار بارعة وأثمار يانعة وظل ظليل ونسيم عليل ويعشش في غياض شعا
بها فيجدها مأوى لأسد الغضب ونمور الجهل وذئاب الغرور وخنازير الشره

وكلاب الحرص وضباع الحمق وحيات الظلم وعقارب الحسد فاذا تحققوا لك منهما
فليتوسل الى الله تعالى بقلب منيب ان يرزقه مجاهدة هذه الآفات المردية
حتى يفيض ارض نفسه منها بالمجاهدة الحقيقية ويزرع فيها اعشاب رياحين الاخلاق
المرضية فان الله سبحانه وتعالى يهب له مطية التوفيق حتى يقطع بها الطريق
وهذه المطية لها اربعة قوايم من عليها وما عظم فان قلت اشرح لي
قوايم المطية فهي ثم بعد الاشتياق واقف على مساوي الحالة اللحاق ولاكن
سماتها هنالك فالقابلية الاولى ذوق الله فهما لحظ الرواح فلو ملل والثانية
تعلق القلب في كل حين وزمان والثالثة حرب النفس اليه اشتياقا والرابعة
انشغال القلب به عن كل شيء سواه واعلم ان في المطية من العلم
والمعرفة واخذها من المراقبة وظهرها من التوكل وعنقها من الوفا وقلبها من
الصدق وكلها بالاخلاص ولجامها من الهيبة وروحها من اليقين وطعامها من الانس
وفايدها من التوفيق وسايقها العون والتاييد بصريح القول تعالى
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وطرق التوفيق الى الله تعالى
كثيرة لاتحصى والمطايا كذلك ولكن هذه مطية من سلكها فهي طرق التوفيق
الى الله تعالى فيقطع ما في لحظة وذلك بان يجعل ما في الوجود في خطوة واحدة
وهذه المطية هي الغاية القصوى وما سواها من العطايا تابع لها
اليها ينتهي عمل العاملين وفيها تناخ مطايا العارفين وفي الفناء يكون طواف
الروحانيين وبابها ينادب المريدون وما سواها من مطايا الاولياء وطرقهم
تبع لهذه المطية ولهذا الطريق واعلم ان هذه المطية في حرب معارك
الغناطيس المحفوفة باللصوص والعاهات وفيها تقع معارك الحروب فيكثر بها ملاحم

الاقتتال فصلوا

فسلوا ايها الاخوان الموفقون للطريق رحمكم الله سيوف المجاهدة واخشى والروية
الموافقة واركبوا رايات التقوى والمحاسبة ولاكن لما يقطع هذه المفازة بالكمال حتى
يصل الى هذه العطية الا من رزقه الله من التوفيق ما يخلصه به اثير الهباء من الهواء
ولطيف الهواء من الماء مع عصمة الله تعالى وامتداد ايامه بقوة اليقين حتى لا يرى في
الوجود الا الله تعالى وافعاله فتراه بكمال العارفين وشجعان الروحانيين وفرسان الصديقين
والحق من كان التوفيق قائده والتسليم دليله فما اسرع الى كل خير وصوله فتجهزوا
رحمكم الله في اخذ عظكم من مواثم في هذا الطريق بل عسى يهيئكم لركوب هذه المطايا
الحسان ويوصلكم عليها بلطفه دار الامان والرضوان وتنافسوا فيما بينكم ولا تتركوا صعب
الوقت يغلقوا اقفال قلوبكم فانه شر محبوب واخس مطلوب جعلنا الله واياكم ممن يستمع
القول فيتبع احسنه فصل دعا في رحمه الله الى تمثيل الدنيا بالمفازة وتمثيل
الشريعة بالطريق فيها وتمثيل العبادة بالمطايا موضوعة عليها وتمثيل اعمالها
بالعطايا لما فيه وجرت ضرب الامثال في فتق القلوب بسهام الموعظة رشقا لا يابسوا
بعيرها ولا ان ذلك ابلغ في تقريب المعاني الى العقول كقوله عليه السلام فيما روي عنه
انه قال العلم خليل المومن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قائده والرفق والده والبر اخوه
والصبر امير جنوده وقال بعض السلف سالت راهبا فقلت له ما الدنيا قال خلق كخلق
المراة راسها الكبر ووجهها العجب وعيناها السحر ولسانها الفخر واذناها
النسيان ونفسها العلو وقلبها الطمع وبطنها الحرص ورجلاها الحسد وعنقها
الحزن وظهرها الاياس من الله تعالى وزينتها الشهوات فهذه صفة الدنيا

التي عليها تتشاجرون فاعتبروها وقال الله سبحانه وتلك الامثال نضربها للناس وما
يعقلها الا العالمون وفي كتاب الله تعالى من الامثال ما يستغرق الوصف والله المستعان

فصل فان قال قائل اذا كان الامر على ما وصفت والطريق على ما نعت فقد قل
من الناس العابد لهذا الرب المعبود والواصل الى هذا المقصود فمن الذي يقوى على
هذه الامور ويصل هذه النهاية فاعلم ان الله سبحانه يقول ولقد صدق عليهم
ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المومنين وقال وقليل من عبادي الشكور وقال الا الذين
آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم ثم قال ولكن اكثر الناس لا يعلمون ولا يشكرون ولا
يعقلون ولا يتفكرون في امثال هذه الآيات ثم ان ذلك يسير على من يسره الله تعالى عليه
وصفا قلبه ونوره فعلى العبد الاجتهاد وعلى الله سبحانه الهداية قال الله تعالى
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فاذا كان العبد الضعيف يقوم بما عليه من
التكليف فما ظنك بالرب الغفار والعلي الكريم اللطيف والشان كله يرجع الى اصل واحد
وهو الكلمة السابقة في الازل بالتوفيق والسعادة ولا يدرك ذلك باجتهاد وتكلف
ولكن بقسمة ازلية وهبة وهاب لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وليست هذه
الهبة بالانساب ولا بالاحساب الا ترى الى لقمان الحكيم قيل انه عبد مملوك نوبي
اعطاه الله من الحكمة ما طبق الافاق واشتهر في الاقطار حتى انزل ذلك في القرآن و
كذلك غيره ممن يطول ذكره رجالا ونساء مثل تخينة المعتوقة وعزالة الامة المملوكة
من السودان اما تخينة فانها كانت تصلي في مصلى ابي عبيدة الخواص رحمه الله
فبصرها ابو الخير الزواقي فرآها اضواها طعاما واشتباه رجالا تحلقوا او دائرين بها

فبقي

واما غزالة فتشرب عندها من اناء البنات ثم توضا من ذلك الماء ما في حالتها تلك
فهي صاحبة وادي الزير فكانت فيما قيل اذا توفي مواليها في البلد وبقوا حضرت
المجلس في ثوب قرمزي فتقاتم كانها اخر الليل فتخرج مصابيح بعد ان فلما اعتقت
انطفى مصباح واحد وبقي اخر والله اعلم فنسال الله البر الرحيم ان يمن علينا وعليهم
بالتوفيق فصل اعلموا رحمكم الله اني تطلعت في احوال اسلافنا رحمهم الله
فوجدتهم اهل بصاير ومعرفة بالدين واهل تواضع وخشية في قوة يقين مع ما منحهم
الله تعالى من سلامة الصدور من كل غايلة واجتهاد في العبادة بصدق الورع عن
كل شبهة فجعلوا في احياء دين الله تعالى اموالهم واهرقوا فيه دماءهم فما
صحوا وقد انقرضت منهم الديار ولم يبق الا ذكرهم في المجالس والاقطار فاثارهم
مذكورة وسيرهم في الاسفار مشهورة فالعجب من بعدهم خلف رضوا بالدنيا
عوضا من الاخرة عليها يتكالبون وبها يتواصلون ومن اجلها يتوالون ويتعادون
اسعدتهم الدنيا فاذلتهم والاماني فاضلتهم فياليتهم اكتسبوها من ابوابها واكلوها
من اسبابها ولكنهم اخذوها عوضا عن الدين ونبذوا خلفهم سير اشياخنا الاولين
استحوذ على اكثرهم الشيطان واستغواهم الطغيان فاصبح كل فاجر حظه
مشغوفا بفعل المنكر من اجل ذلك عندهم معروفا حتى ضاعت حدود الدين وامحت
اثار السلف الصالحين فاصبح هذا الدين مندرسا وصار الهدى في اقطار الارض منطمسا
ولقد خيلوا ان لا علم الا فتوى حكومة يستدرج بها العوام اذ لم يروا ما سواها
مصيدة للحكام وشبكة للحطام واما علم طريق الاخرة وما درج عليه السلف

الصالح ما سماه الله تعالى في كتابه علما وفقها وحكمة ونورا وهداية ورشدا
فقد أصبح بين الخلق مطويا وصار نسيا منسيا ثم أني نظرت في كتاب الله
تعالى وسنة نبيه عليه السلام وما دونه السلف الصالح رحمهم الله من الآثار
والسير في الرقائق والأسفار فوجدت في ذلك علما أفصح عن شرف قدره وشأنه
وحقيقته وأيقنت بالفوز والنجاة لمن انتحله وعمل به وهو العلم بحدود
التقوى من الورع عن محارم الله عز وجل والقيام بحدوده وتصفية القوة
والقلوب من مكارهه فرأيت انتحال ذلك والعمل بحدوده واجبا على
الجملة العظماء وفائدة من أجله على جميع من فهمه إذ كان ذلك دين الله
الحق المبين وعليه مضى أسلافنا وسائر المتقين ثم أني تصفحت
في أحوال أهل زماننا فرأيته دهرا مستصعبا قد زلت فيه شرائع الإيمان وانتقضت
فيه عرى الإسلام واندرست فيه حدود الدين بالكلية ورأيت فتنا متراكبة
فيما يعقبها اللبيب ودينا منه رسما لا داعي إليه ولا مجيب وقد عميت عن
الآخرة بصائرنا وامتلأت بحب الدنيا ضمائرنا فخشيت الانسلاخ من الحق
كله فرأيت التمسك بالقليل خيرا من ذهاب الجميع وإن كان لا عذر لأحد
في تضييع شيء من أوامر الله تعالى ولا ارتكاب شيء من مناهيه ولذكر ما جاء
من عود عوف لأنه بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه سيأتي
بعدكم قوم إن تمسكوا بعشر ما أنتم عليه نجوا فقد عاينت ما ذكرت
التي تليها كتاب أشرح فيه إن شاء الله بعض شرائع الدين وأبين

بعض

بعض مناهيه لعل الله تعالى يجعله تذكرة لنفسي ولمن نظر فيه من ابناء
جنسي وغيرهم من الناس وسميته كتاب قناطر الخيرات فالله سبحانه
اسئله التوفيق في القول والعمل والعصمة من الخطا والزلل وهذا
الكتاب يحتوي على سبعة عشر قنطرة انشرحها ان شاء الله بالتمام
الاولى قنطرة العلم تحتوي على مقدمة في بيان العقل
وعشرة ابواب في تحصيل العلم الاول في بيان فضله الثاني في فضل
التعلم والتعليم الثالث في فرض العين الرابع في فرض الكفاية
الخامس في بيان حد الفقه والكلام في علم الدين وبيان علم الاخرة من علم
الدنيا السادس في طرق العلم وتقاسيمه السابع في ادب المتعلم و
العالم الثامن في آفات العلم والعلماء السوء التاسع في بيان جنس
العلم المذموم واسماء العلم المحمود العاشر في العلامات المميزة بين
علماء الدنيا والآخرة وسائر القناطر تاتي على الترتيب المتقدم ان شاء الله
الى آخر قنطرة فيكون آخرها صفة الجنة والنار وهذه الابواب
ستاتي فيما بعد ان شاء الله ونحن الان فيما يكون ان شاء الله في ابواب العلم
وتفاصيلها اعلم انا قد قدمنا اولا انا سنشرع في بيان معرفة العقل قبل ابواب
العلم فصل في فضل العقل وشرفه وحقيقته واقسامه
وانما قدمنا بيان العقل على تحصيل ابواب العلم لان العقل آلة لدرك

العلوم واس الفضايل وينبوع الاداب واصل التهذيب وعماد للدنيا بالعلم فحجة
متعه ضحى فى الظلمة فى الشتى وانور من الشمس والرؤية من العين وشرف العقل
مدرك بالضرورة وكيف لا يشرف ما هو وسيلة الى السعادة فى الدنيا والاخرة
وروي عن ابي سعيد الخدري عن النبي عليه السلام انه قال لكل شيء دعامة
ودعامة المومن عقله فبقدر عقله تكون عبادته اما سمعتم قول الفجار لو كنا
نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير وعن انس قال اثنى المسايل يوما
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايها الناس ان لكل شيء مطية
واحسنكم دلالة ومعرفة بالحجة افضلكم عقلا وعن ابي هريرة قال لما رجع
رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة احد سمع الناس يقولون فلان اشجع
من فلان وفلان ابلى من فلان ما لم يبل غيره ونحو هذا فقال صلى الله عليه
وسلم اما هذا فلا علم لكم به قالوا وكيف ذاك يا رسول الله قال عليه
السلام انهم قاتلوا على قدر ما قسم الله لهم من العقل فكانت نصرتهم ونيتهم
على قدر عقولهم فاصيب منهم من اصيب على منازل شتى فاذا كان يوم
القيامة اقتسموا المنازل على قدر نياتهم وقدر عقولهم وعن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه قال اصل الرجل عقله وحسبه دينه وعن حسن البصري قال ما
استودع الله احدا عقلا الا استنقذه به يوما ما وعن البراء بن عازب عن النبي
عليه السلام انه قال جدّ الملايكة واجتهدوا في طاعة الله سبحانه بالعقل

وجد

ويجد المؤمنون من بني آدم على قدر عقولهم بما عملهم بطاعة الله عز وجل
اوجرهم عقلا وعن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله بما يتفاضل
الناس في الدنيا قال بالعقل قالت وفي الآخرة قال بالعقل اليس يجزون باعمالهم
فقال صلى الله عليه وسلم يا عائشة وهل عملوا الا بقدر ما اعطاهم الله عز
وجل العقل فبقدر ما اعطوا من العقل كانت اعمالهم وبقدر ما عملوا
يجزون وقال بعض الحكماء العقل افضل مرجو والجهل انكى عدو
وقال بعض الادباء صديق كل امرئ عقله وعدوه جهله وقال بعض
البلغاء خير المواهب العقل وشر المصائب الجهل وانشد الماوردي
لابراهيم بن حسان :: يزين الفتى في الناس صحة عقله :: وان كان محظورا
عليه مكاسبه :: يشين الفتى في الناس قلة عقله :: وان كرمت اعراقه ومناسبه
:: يعيش الفتى بالعقل في الناس انه :: على العقل يجري علمه
وتجاربه :: وافضل قسم الله للمرء عقله :: فليس من الاشياء شيء يقاربه ::
اذا اكمل الرحمان للمرء عقله :: فقد كملت اخلاقه ومآربه :: وعن ابن عباس
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لكل شيء آلة وعدة وان آلة المؤمن العقل
ولكل شيء مطية ومطية المرء العقل ولكل شيء دعامة ودعامة المؤمن
العقل ولكل قوم غاية وغاية العباد العقل ولكل اهل بيت قيم وقيم بيوت
الصديقين العقل ولكل خراب عمارة وعمارة الآخرة العقل ولكل امرئ عقب ينسب
اليه ويذكر به وعقب الصديقين الذي ينسبون اليه ويذكرون به العقل

والعقل تابعه فسلاط ويسلماط المومن العقل وعنه صلى الله عليه وسلم ان احب المومن الى الله عز وجل من تصعب في طاعته تعالى ونصح اعباده وكمل عقله ونصح نفسه فابصر وعمل به ايام حياته فافلح وانجح وعنه عليه السلام قال اتمكم عقلا اشدكم لله عز وجل خوفا واحسنكم فيما امر به ونهى عنه نظرا وان كان اقلكم تطوعا واعلم ان بالعقل تدرك حقايق الامور ويفصل بين الحسنات والسيئات وهو ينقسم قسمين غريزي ومكتسب فالغريزي هو العقل الحقيقي وله حد يتعلق به التكليف التكليف لا يتجاوزه الى زيادة ولا يقصر عنه الى نقصان وبه يمتاز الانسان من ساير الحيوان فاذا تم في الانسان سمي عاقلا وخرج به الى حد الكمال كما قيل عن صالح بن عبد القدوس انه قال اذا تم عقل المرء تمت اموره وتم اياديه وتم بناؤه وروي عن الضحاك في قوله تعالى لتنذر من كان حيا اي من كان عاقلا واختلف الناس فيه وفي صفاته عن مذاهب شتى فقال قوم هو جوهر لطيف يفصل به من حقايق المعلومات واختلف من قال بهذا في محله فقالت طايفة محله الدماغ لان الدماغ محل الحس وقال اخرون محله القلب لان القلب معدن الحياة ومادة الحواس وفي اثار مرفوعا عن علي بن ابي طالب يرفعه الى النبي عليه السلام انه قال خلق الله سبحانه العقل من نور مكنون في غامض علمه من حيث لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل فجعل الزهد راسه والحيا سمعه والحيا عينه والرابة قلبه والعلم بهمه

والبهم

والبغي طبعه ثم قواه بعشرة اشياء بالايمان واليقين والسكينة والحزن
والاخلاص والقنوع والخشوع والخضوع والشكر والتسليم والصبر ثم قال له
اقبل فاقبل فكان اقباله اقبالا ثم قال له ادبر فادبر فكان ادباره ادبارا فقال له
عز وجل وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا قط اكرم علي منك ولا احسن فعلا ولا
احب الي منك بك آخذ وبك اعطي وبك اعرف ولك الثواب وعليك العقاب
قال فخر العقل ساجدا فمكث العقل في سجوده الف عام فقال له عز وجل ارفع
راسك واسأل تعط واشفع تشفع فقال اللهم سيدي بجودك في خلقك
لا شفعتني فيمن خلقتني فيه فقال ذلك لك وقال صلى الله عليه وسلم من اوتي
العقل فقد اوتي خيرا كثيرا وانما العاقل من عقل عن الله تعالى امره ونهيه
ومن لم يكن كذلك فليس بعاقل حتى قال بعض العلماء فيمن اوصى بثلث ماله
لاعقل الناس ان يصرف في الزهاد لانهم انقادوا للعقل ولم يغتروا بالامل
وعنه عليه السلام قال اكمل الناس عقلا اطوعهم لله واعلمهم بطاعته
فلا يعجبكم اسلام رجل حتى تعلموا عقله وقال أُمرنا معاشر الانبياء ان نكلم
الناس على قدر عقولهم فان قيل ان كان العقل عرضا فكيف خلق قبل الاجسام
وان كان جوهرا فكيف يكون جوهر قائم بنفسه لا يتحيز قيل له ان هذا
من العلم الغامض الذي لا يطلع عليه الا الانبياء والروحانيون وقد ابطل
الماوردي في كتابه هذا القول بهذه العلة وقال قوم العقل غريزة يتهيأ
بها درك العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية فيكون هذا عن الحارث
المحاسبي فكانه اشار الى ان العقل نور يقذف في القلب به يستعد لادراك

الاشياء ونسبة هذه الغريزة الى العلوم نسبة العين الى الرؤية ونسبة القرآن
والشرع الى هذه الغريزة في اكتساب العلوم لها نسبة نور الشمس الى البصر
وفيه الوصف هو الذي يفارق الانسان به سائر البهائم وقال آخرون العقل بعض
العلوم الضرورية اذ العلوم التي تخرج الى الوجود في ذات الطفل المميز بجواز
الجائزات واستحالة المستحيلات كالعلم بان الاثنين اكثر من الواحد وان
الشخص الواحد لا يكون في مكانين وقالت طائفة العقل هو جملة العلوم الضر
ورية من وجوب الواجب وجواز الجائزات واستحالة المستحيلات وقد قال
بعضهم العقل هو العلم بالمدركات الضرورية وذلك نوعان احدهما
ما يقع عن ادراك الحواس الخمس كالمرئيات المدركة بالبصر والاصوات
المدركة بالسمع والطعوم المدركة بالذوق والروائح المدركة بالشم والاجسام
المدركة باللمس فاذا كان الانسان ممن يدرك بحواسه هذه الاشياء ثبت
له هذا النوع من العلم وكان عاقلا لان خروجه في حال تغميض عينيه من ان يدرك
بهما ويعلم لا يخرجه من ان يكون كامل العقل من حيث علم من حاله انه لو ادرك
لعلم والنوع الثاني ما كان مبتدأ في النفوس كالعلم بان الشيء لا يخلو من
وجود او عدم وان الموجود لا يخلو من حدوث او قدم وكالعلم بان من المحال
اجتماع الضدين وان الواحد اقل من الاثنين وهذا النوع من العلم لا يجوز
ان ينتفي عن العاقل مع سلامة حاله وكمال عقله فاذا كان عالما بالمدركات
الضرورية فهو كامل العقل والى هذا القول ذهب الماوردي في كتابه
قال واذا نفي ان يكون العقل جوهرا ثبت محله القلب لان القلب محل العلوم

كما

17

كما قال تعالى افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها فدلت هذه
الاية على امرين احدهما ان العقل علم والثاني ان محله القلب وفي قوله
يعقلون بها تاويلان احدهما معناه يعلمون بها والثاني يعتبرون
فهذه جملة القول في العقل الغريزي واما العقل المكتسب فهو
نتيجة العقل الغريزي وذلك علوم تستفاد من التجارب بمجاري الا
حوال فان من كثرت له التجارب يقال انه عاقل في العادة ومن لا ينتفع
به يقال انه غمر جاهل وهذا العقل ينمو ان استعمل وينقص ان اهمل
لانه من قوة تفابة المجربة واصابة الفكرة مالم يمنعه مانع من هوى
وصاد من شهوة لانه يحصل ذلك بكثرة التجارب وممارسة الامور ولهذا
حمدت العرب اراء الشيوخ فقالوا عليكم باراء الشيوخ فانهم ان
فقدوا ذكاء الطبع فقد مرت على عيونهم وجوه العبر وتصدت لاسما
عهم اثار الغير وقالوا التجربة مراة العقل والغرة ثمرة الجهل وقيل في
منثور الحكم من طال عمره نقصت قوة بدنه وزادت قوة عقله وقال
بعض البلغاء كفى بالتجارب تاديبا وبتقلب الايام عظة وينشد
:. الم تر ان العقل زين لاهله :. ولكن تمام العقل طول التجارب :. فهذا
نوع اخر من العلوم يسمى عقلا وقد يكون هذا ايضا لفرط الذكاء وحسن
الفطنة وذلك جودة الحدس واذا امتزج بالعقل الغريزي صارت نتيجتهما
العقل المكتسب كالذي يكون في الاحداث من وفور العقل وجودة
الراي ولذلك قالوا عليهم بالحديث السن الحديد الذهن وقالت العرب

عليهم بمشاورة الاحداث فانهم ينتجون رايا لم يفله طول القدم ولا استولت
عليه رطوبة الهرم وانشد الماوردي لبعض الشعراء رايت العقل لم
يكن انتهابا ولم يقسم على عدد السنينا ولو ان السنين تقاسمته حوى
الاباء انصبة البنينا وذكر عن الاصمعي انه قال قلت لغلام حدث من اولاد
العرب كان يحادثني فامتعني بفصاحته وملاحته ايسرك ان تكون لك
مائة الف درهم وانك احمق فقال لا والله فقلت ولم قال اخاف ان يجني علي
حمقي جناية تذهب بمالي ويبقى علي حمقي فانظر الى هذا الصبي كيف
استخرج بفرط ذكائه ما لعله يدفعه من هو اكبر منه سنا واكثر تجربة
وحكي عن ثمامة بن اشرس انه اخبر ان المامون تفرد يوما في بعض تصيده
فانتهى الى بعض بيوت اهل البادية فراى صبيا بيده قربة وقد غلبه
وكاؤها وهو يقول يا ابت اشدد فاها فقد غلبني فوها لا طاقة لي بفيها قال
فوقف عليه المامون فقال ممن تكون فقال من قضاعة قال ممن ايها قال من كلب
قال وانك لمن الكلاب قال لسنا هم ولكن قبيل يدعا كلبا قال فمن ايهم انت
قال من بني عامر قال ممن ايها قال من الاجدار ثم من بني كنانة قال فمن انت يا غلامي
وقد سالتني عن نسبي فقال ممن تبغضه العرب كلها قال فانت اذا من نزار قال
ممن تبغضه نزار كلها قال فانت اذا من قريش قال اني ممن تبغضه قريش كلها
قال فانت اذا من بني هاشم قال انا ممن يحسده بنو هاشم كلها فارسل فم القربة
فقام اليه فقال السلام عليك يا امير المومنين ورحمة الله تعالى وبركاته وخرج
يبتدر الى شكيمة الدابة وهو يقول مامون يا ذا المنن الشريفة وصاحب
الكتيبة

الكثيفة الكثيفة ∴ هل لك في أرجوزة ظريفة ∴ أظرف من فقه أبي حنيفة
لا والذي أنت له خليفة ∴ ما ظلمت بأرض ضعيفة ∴ عاملنا مؤونته خفيفة ∴
وجابيا بطلا على الوظيفة ∴ فالذئب والنعجة في السقيفة ∴ واللص والتاجر
في القطيفة ∴ ثم سار فيها سيرة الخليفة ∴ فقال له المأمون أحسنت فأيما أحب
إليك عشرة آلاف درهم معجلة أو مائة ألف مؤجلة فقال بل أدخرك يا أمير المؤمنين
وفي غيره أخرك لأنك أنت الغني الوفي قال فما لبثه أن قبلت البدرتان فقال
احملوه بمضابه حتى كان أحد مساويه أنظر إلى جودة قريحة هذا الغلام وجاوبه
فيسيا أن الفعال لما يشاء وأحسن من هذا الذكاء والفطنة ما حكاه ابن قتيبة
أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر بصبيان يلعبون وفيهم عبد الله بن الزبير فهربوا
منه إلا عبد الله فقال له عمر ما لك لم تذهب مع أصحابك فقال يا أمير المؤمنين لم يكن
علي ريبة فأخافك ولم يكن بالطريق ضيق فأوسع لك أنظر إلى ما تضمنه هذا
الجواب من الفطنة وقوة المنة وحسن البديهة فليس للذكاء غاية ولا لجودة
القريحة نهاية ولمثل ذلك قالت الحكماء آية العقل سرعة الفهم وغايته إصابة
الوهم وليس لمن منح جودة القريحة وسرعة الخاطر عجز عن جواب وإن أعضل
كما قيل لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه كيف يحاسب الله العباد على كثرة عددهم
قال كما يرزقهم على كثرة عددهم وقيل له كم بين السماء والأرض فقال دعوة مستجابة
وقيل لابن عباس أين تذهب هذه الأرواح إذا فارقت الأجساد فقال أين تذهب
نار المصابيح عند فناء الأدهان وهذان الجوابان جوابا إسكات تضمنا دليلي

اذ عاز وجهه فنحى وقيل له كم بين المشرق والمغرب فقال يوم طراد للشمس
ومن غير هذا الفن وان كان من هذا ما حكي ان ابليس لعنه الله حين تصدى
لعيسى بن مريم عليه السلام فقال الست تقول لن يصيبك الا ما كتب الله عليك
قال نعم قال فارم نفسك اذا من ذروة هذا الجبل فانه ان قدر لك السلامة
تسلم فقال له يا ملعون ان لله ان يختبر عبده وليس للعبد ان يختبر ربه ومثل هذا
الجواب لا يستغرب من انبياء الله الذين امدهم بوحيه وايدهم بنصره وانما
يستغرب ممن يلحظ الخاطر ويعول على بديهته فاذا اجتمع هذان الوجهان
في العقل المكتسب وهو ما ينميه فرط الذكاء بجودة الحدس وصحة
القريحة بحسن البديهة مع ما يفيده الاستعمال بطول التجارب ومرور الزمان
بكثرة الاختبار فهو العقل الكامل على الاطلاق من الرجل الفاضل بالاستحقاق وذلك
وذلك ان تنضاف قوة الغريزة التي بها تدرك عواقب الامور ويقمع الشهوات
الداعية الى اللذة العاجلة ويقهرها فاذا حصلت هذه القوة سمي
صاحبها عاقلا من حيث ان اقدامه واحجامه بحسب ما يقتضيه الفكر في
العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة فهذا ايضا من خواص الانسان التي بها
يتميز من الحيوان فالاول هو الاصل اعني الغريزة والثاني هو الفرع اعني العلوم
الضرورية والثالث هو فرع الاول والثاني اعني علوم التجارب اذ بقوة الغريزة و
العلوم الضرورية تستفاد علوم التجارب والرابع هي الثمرة الاخيرة وهي الغاية
القصوى فالاولان بالطبع والاخيران بالاكتساب وحكي عن ماجوو بن ازدشير انه

قال

19

قال العقل عقلان احدهما مطبوع والاخر مسموع ولا يصلح واحد منهما الا بصاحبه
فنظم ذلك علي بن ابي طالب كرم الله وجهه فيما يحكى عنه فقال رايت
العقل نوعين مسموع ومطبوع ∴ فلا ينفع مطبوع اذا لم يكن مسموع كما لا
تنفع الشمس وضوء العين ممنوع فالاول هو المراد بقوله عليه السلام اول
ما خلق الله تعالى العقل الحديث والاخر هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لعلي
بن ابي طالب كرم الله وجهه اذا تقرب الناس الى الله تعالى بانواع البر فتقرب اليه
بعقلك وقوله لابي الدرداء ازدد عقلا تزدد من الله قربا قال بابي انت وامي كيف
لي بذلك فقال عليه السلام اجتنب محارم الله تعالى وادّ فرائض الله
سبحانه تكن عاقلا وتعمل بالصالحات من الاعمال تزدد في عاجل الدنيا
رفعة وكرامة وتنل من ربك بها القرب والعز وقال عليه السلام
ما اكتسب المرء مثل عقل يهدي صاحبه الى هدى او يرده عن ردى
وعن سعيد بن المسيب ان عمر وابي بن كعب رضي الله عنهما
وابا هريرة دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول
الله من اعلم الناس فقال عليه السلام العاقل فقالوا من اعبد الناس
قال العاقل قالوا فمن افضل الناس قال العاقل قالوا اليس العاقل من تمت
مروءته وظهرت فصاحته وجادت كفه وعظمت منزلته فقال عليه
السلام ان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والاخرة عند ربك للمتقين
ان العاقل هو المتقي وان كان خسيسا دنيا وعن انس بن مالك

قال اثني على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير فقال كيف عقله فقالوا
فقالوا يا رسول الله ان من عبادته ان من فضله فقال كيف عقله فقالوا يا رسول الله
نثني عليه بالعبادة واصناف الخير وتسألنا عن عقله فقال عليه السلام ان الاحمق
يصيب بجهله اعظم من فجور الفاجر وانما يقرب الناس من ربهم بالزلف على قدر عقولهم
وفي الجملة من لم تكن فضيلة عقله ثاقبة لم يتعلق به من الدين الا قشوره وامتنعت
دون لبابه وحقائقه واختلف الناس في العقل المكتسب اذا تناهى وزاد هل
يكون فضيلة ام لا فقال قوم لا يكون فضيلة لان الفضائل هيئات متوسطة بين
فضيلتين ناقصتين فما جاوز التوسط خرج عن حد الاعتدال لقوله عليه السلام خير
الامور اوساطها وقالوا ان زيادة العقل تفضي بصاحبها الى الدهاء والمكر وذلك
مذموم وصاحبه مذموم وقد امر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ابا موسى الاشعري
ان يعزل زيادا عن ولايته فقال زياد يا امير المؤمنين اعن موجدة ام خيانة فقال
لا عن واحدة منهما ولكن خفت ان احمل على الناس فضل عقلك وقالت الحكماء
للاسكندر ايها الملك عليك بالاعتدال في كل الامور فان الزيادة عيب والنقصان عجز
وقال اخرون وهو اصح القولين زيادة العقل فضيلة لانه زيادة علم بالامور وحسن
اصابة بالظنون ومعرفة ما لم يكن الى ما يكون وذلك فضيلة لا نقص وروي عن
النبي عليه السلام انه قال العقل حيث كان الوف مالوف وقال القاسم بن محمد كانت
العرب تقول ما لم يكن عقله اغلب خصال الخير عليه كان حتفه في اغلب خصال الشر
عليه وقد قيل في منثور الحكم كل شيء اذا كثر رخص الا العقل فانه اذا كثر غلا

وما

واما الادهاء والمكر فهو مذموم لان صاحبه صرف فضل عقله الى الشر ولو صرفه
الى الخير لكان محمودا وقد ذكر المغيرة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان والله
افضل من ان يخدع واعقل من ان يخدع وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لست
بالخب والخب لا يخدعني والله اعلم فصل واعلم ان العقل المكتسب لا ينفك
عن العقل الغريزي لانه نتيجة منه وقد ينفك العقل الغريزي عن العقل المكتسب
فيكون صاحبه مسلوب الفضايل موفور الرذايل كالانوك الذي لا يوجد له
فضيلة والاحمق الذي قل ما يخلوا منه رذيلة وقد روي عن النبي عليه السلام انه
انه قال الاحمق ابغض خلق الله اليه اذ حرمه اعز الاشياء اليه عنه عليه السلام
الاحمق كالفخار لا يرقع ولا يشعب وروى عطاء عن جابر قال كان في بني اسراييل
رجل له حمار فقال يا رب لو كان لك حمار لعلفته مع حماري فهم به نبي من الانبياء
فاوحى الله تعالى اليه انما اثيب كل انسان على قدر عقله قال وكانت ملوك الفرس
اذا غضبت على عاقل حبسته مع جاهل ويقال ان الاحمق يتحفظ من كل شيء الا من
نفسه ولذلك قال بعض الحكماء والحاجة الى العقل اكثر من الحاجة الى المال وقال بعض البلغاء
دولة الجاهل عبرة العاقل وقال الحوشي وان لم يجمعها في شيء الا رضي قال عقل يعيش به قال
ولم يكن قال فاخوان يسترون عيبه قال فان لم يكن قال فمال يتحبب به الى الناس قال فان لم
يكن فعي صامت قال فان لم يكن قال فموت جارف وفي كتاب العقد قال خطب وكيع بن ابي
سود وهو والي خراسان فقال ان الله خلق السماوات والارض في ستة اشهر فقيل انما هي ستة
ايام فقال والله لقد قلتها وانا استقلها قال وخطب والي اليمامة فقال ان الله لا يقار عباده على

الصلاة في وقد اهلك امة عظيمة في ناقة قسما وفي مائتي درهم فسمي
شؤم الناقة قال ودخل قوم على كردم الزوبي فقالوا له اين الفضلة في دار لك
فقال انما دخلنا اليها منذ ستة اشهر قال ورئي عامر بن عبد الله بن الزبير
عطشان في المسجد وكان قد اوتي به شراب فلما سار الى بيته قال يا غلام اد
ايتني بعطائي الذي نسيته في المسجد فقال واين يوجد وقد دخل في المسجد
بعدك جماعة قال او بقي احد يأخذ ما ليس له قال وسرقت نعله فلم يلبس
بعد ذلك نعلا حتى مات وقال اكره ان يجيء من يسرقه فيأثم قال وفي هذا المعنى
من الناس من يقول ابو السختياني من اصحابه من يرجو بركة دعائه وانا افضل
شهادته ... حمقي قال كان الشعبي يحدث انه كان في بني اسرائيل عابد
جاهل قد ترهب في صومعة وكان له حمار يرعى حواليها فاطلع من الصومعة فرآه
يرعى فرفع يديه الى السماء فقال يا رب لو كان لك حمار كنت ارعاه مع حماري وما
كان يشق علي فهم به نبي في ذلك الزمان فأوحى الله اليه دعه فانما سال
وانما اثيب كل انسان على قدر عقله هـــشام بن حسان قال اقبل رجل الى
الى محمد بن سيرين فقال ما تقول في رؤيا رأيتها قال وما رأيت قال كنت رأيت
ان لي غنما واعطيت بها ثمانية دراهم فأبيت من البيع ففتحت عيني ولم ارها
فاغمضتهما ومددت يدي فقلت هاتوا اربعة فلم اعط شيئا قال ابن سيرين
لعل القوم اطلعوا على عيب في الغنم فكرهوها قال ابو بكر الذي قلت وفي كتاب
الماوردي قال ولي الربيع العامري وكان من النوكى قضاء اليمامة فأتى كلاب بكلب

فقال

في مثل وجه الناعي ∴ شهدت بأن الله حق لقاؤه ∴ وأن رجيع العاصي رفيع ∴
∴ إذا ما الما كليا بكلب فلم يرع ∴ دماء كلاب المسلمين تضيع ∴ ومثل هذا من النوكا
ما لا يحصى كثرة اذ لا يعتنا الا كثر ومنها انه بحسب ما ينتشى من فضايل العاقل
كذلك يظهر من رذايل الجاهل حتى يصير مثلا في الغابرين وعرفا في الاخرين وقد
وصف بعض البلغاء العاقل بما فيه من الفضايل فقال العاقل اذا والى بذل المودة
نصره واذا عادا رفع عن الظلم قدره فيسعد مواليه بعقله ويعتصم معاديه بعدله
ان احسن اليه احد ترك المطالبة بشكره وان اساء اليه مسيء سبب له اسباب العذر
او منح له الصفح والعفو لا لاعوض مطلانه او نفس تكبر وان اوحش
تكدر وان استطوف تحلب وان ترك تكلف مجالسته مهنة ومعاينة محنة
ومجاورته غرر وموالاته ضرر ومقارنته عنا ومفارقته شفاء وقال بعض البلغاء
ان الرضا ربما افلت على الجاهل بالحظ وادبرت على العاقل بالاستحقاق فان
اتتك منها سهمة مع جهل او فاتتك بغية مع عقل فلا يحملنك ذلك على
عن الرغبة في الجهل والزهد في العقل فدولة الجاهل من الممكنات ودولة العاقل
من الواجبات وليس من امكنه شيء من ذاته كمن استوجبه بآلاته وادواته
وبعد فدولة الجاهل كالغريب الذي يحن الى النقلة ودولة العاقل كالنسيب
الذي يحن الى الوصلة فلا يفرح المرء بحالة نالها بغير عقل ومنزلة رفيعة حلها
بغير فضل فان الجهل ينزله منها ويزيله عنها ويحطه الى رتبته ويرده الى قيمته
بعد ان تظهر عيوبه وتكثر ذنوبه ويصير مادحه هاجيا ووليه معاديا واما
العاقل فهو ابدا من عقله في ارشاد ومن رايه في امداد فقوله سديد وفعله حميد

فالعقل ينبوع الاخلاق الفاضلة واس الفضايل الكاملة وانشد بعض اهل الادباء وذكر
انه لعلي بن ابي طالب كرم الله وجهه : ان المكارم اخلاق مطهرة : فالعقل اولها
والدين ثانيها : والعلم ثالثها والحلم رابعها : والجود خامسها والصدق سادسها :
والبر سابعها والصبر ثامنها : والشكر تاسعها واللين عاشرها : والنفس تعلم
اني لا اصدقها : ولست ارشد الا حين اعصيها : والعين تعلم في عيني محدثها :
من كان من حزبها او من اعاديها : فصل وفي كتاب الغزالي قال اختلف
الناس في تفاوت العقل ولا معنى للاشتغال بنقل كلام من قل تحصيله بل
المبادرة الى التصريح بالحق فالحق الصريح ان التفاوت يتطرق الى الاقسام الاربعة
المتقدمة سوى القسم الثاني وهو العلوم الضرورية من جواز الجايزات وا
ستحالة المستحيلات فان من عرف ان الاثنين اكثر من الواحد عرف ايضا استحالة
كون الجسم في مكانين في اشتالها من النظاير التي تدرك ادراكا محققا من
غير شك واما الاقسام الثلاثة فالتفاوت يتطرق اليها والى هذا اشار عمروس
بن متهر رحمة الله في كتابه وزعم ان احمد بن الحسين مع من وافقه هم الذين ذهبوا الى
ان العقول متساوية وعلتهم في ذلك تساويهم في التكليف ولا معنى للاشتغال
باحتجاجهم في ذلك اذ من انكر التفاوت في غريزة العقل فكانه منخلع من ربقة
العقل ومن ظن ان عقل النبي عليه السلام مثل عقل بعض الجهال وهو اخس عقلا
من اوابد الجهال وكيف ينكر تفاوت الغريزة العقلية ولولا ذلك لما اختلف الناس
في فهم العلوم ولما انقسموا الى بليد لا يفهم بالتفهيم الا بعد تعب طويل من
المعلم والى ذكي يفهم بادنى رمز واشارة والى كامل تنبعث من نفسه حقايق الامور

دون

دون التعلم يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار وذلك مثل الانبياء عليهم السلام
اذ تتضح لهم في باطنهم امور غامضة من غير تعلم ولا سماع ويعبر عن ذلك بالالهام و
كمثل المحدثين والمروعين كقوله عليه السلام ان لكل امة محدثا ومروعا فان يكن فيهم
فعمر والمحدث والمروع هو الذي يلقى في روعه وقلبه كانه محدث وعن مثله عبر
النبي عليه السلام في قوله ان روح القدس نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى
تستكمل رزقها وقوله ان روح القدس نفث في روعي احبب من شئت فانك مفارقه
وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به وقوله عليه اتقوا
فراسة المومن فانه ينظر بنور الله والفراسة معناها الظن الصادق
وفي مثل ذلك يقول الشاعر :. الالمعي الذي يظن لك الظن كان قد راى وقد سمعا
:. يبصر باعقاب الامور كانما يرى بصواب الراي ما هو واقع :. وهذا امر ظاهر
لا يخفى على ذي عقل وذكر الغزالي في كتابه ان غريزة العقل في اول مباديها
مثل نور يشرق على النفس عند سن التمييز ثم لا يزال ينمو ويزداد الى ان يتكامل
ما يقرب الاربعين سنة ومثاله نور الصبح فان اوايله تخفى خفاء يشق ادراكه
ثم يتدرج في الزيادة الى ان يكمل بطلوع قرص الشمس قال وتفاوت نور
البصيرة كتفاوت نور البصر والفرق مدرك بين الاعمه وبين الحاد البصر بل
سنة الله عز وجل جارية في جميع ما خلق بالتدرج في الايجاد حتى ان غريزة الشهوة
لا تركب في الصبي دفعة بل تظهر شيئا فشيئا على التدرج وكذلك جميع القوى
والصفات قال ومن انكر تفاوت العقل من جهة النقل ما روي ان ابن سلام سال
رسول الله عليه السلام في حديث طويل فيه وصف عظم العرش وان الملايكة

قالت يا ربنا هل خلقت شيئا اعظم شيئا من العرش قال نعم العقل قالوا وما بلغ قدره
قال هيهات لا يحاط بعلمه هل لكم علم بعدد الرمل قالوا لا قال عز وجل فاني خلقت
العقل اصنافا شتى كعدد الرمل فمن الناس من اعطي حبة ومنهم من اعطي
حبتين ومنهم الثلاث والاربع ومنهم من اعطي فرقا والفرق مكيال بالمدينة ستة
عشر رطلا صاعا ومنهم من اعطي وسقا ومنهم اكثر من ذلك وبالله التوفيق قد
ذكرنا العقل واقسامه وحقيقته فلنرجع الى ذكر العلم وتفاصيل ابوابه ان شاء الله

ذكر فضل العلم وتفصيل ابوابها العشرة

الباب الاول في فضل العلم

فاما بيان فضله فعلى خمسة اقسام من الكتاب والسنة والاثار والمعاني و
الحس اما الكتاب فايات كثيرة منها قوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو
والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط فبدأ بنفسه وثنى بملائكته وثلث
باولي العلم من عباده فسماهم بنفسه وملائكته بدءا والتشريف تشريفا
وتعظيما فناهيك بهذا شرفا وفضلا وجلالة ونبلا وقوله تعالى شهد
الله الاية والشهادة لا تكون الا بالعلم دون الجهل والشك والظن قال تعالى
الا من شهد بالحق وهم يعلمون وقال تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين
اوتوا العلم درجات فقال اهل العلم لعمر بن الخطاب يرفع الله الذين امنوا منكم
درجة والذين اوتوا العلم درجات وروي عن ابن عباس رضي الله عنه انه
قال للعلماء درجات فوق المومنين بسبع مائة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمس
مائة عام وقوله تعالى يوتي الحكمة من يشاء ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا

وقوله

بقوله من يشاء تخصيص ولم يكتف بقوله خيرا حتى قال كثيرا وهذا نهاية في
المدح والتعظيم وقال سبحانه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون
فمنع من المساواة ما بين العالم والجاهل لما خص به العالم من فضيلة العلم وقال
تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون فبين ان يكون فهم
العالم يعقل عنه امرا ويفهم عنه زجرا وقال تعالى انما يخشى الله من
عباده العلماء فاخبر سبحانه انه انما يحصل الخوف في قلوب العلماء خاصة
لما خصهم اعلم به دون الجاهل وقال تعالى قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم
ومن عنده علم الكتاب وقال جل وعلى قال الذي عنده علم من الكتاب انا ءاتيك به
تنبيها على انه اقتدر عليه بقوة العلم وقال تعالى ويلكم ثواب الله خير يعني
تعالى ان عظم قدر الاخرة انما يعلم بالعلم وقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى
اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم رد تعالى حكمه في الوقائع الى
استنباط اهل العلم والحق رتبتهم برتبة الانبياء في كشف حكم الله تعالى وقيل
في قوله تعالى يا بني ادم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم يعني العلم
وريشا يعني اليقين ولباس التقوى يعني الحياء وقال تعالى فلنقصن عليهم بعلم
وقال بل هو ءايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم درجات وقال الرحمان
علم القرءان خلق الانسان علمه البيان وانما ذكر ذلك في معرض الامتنان وقال سبحانه
لنبيه عليه السلام وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقال في الد
نيا تحقيرا وتزهيدا فيها قل متاع الدنيا قليل وقال ولا تمدن عينيك الى ما متعنا
به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا اي زينتها فنهى نبيه

وقال الذين اوتوا العلم

عليه السلام ان ينبسط الى الدنيا بغير الرغبة وقال له في العلم امرا بالرغبة فيه
والزيادة منه وقل رب زدني علما فلو كان معنى افضل من العلم لامره بالرغبة فيه
والزيادة منه فلما كان النبي عليه السلام اكرم الخلق عليه وافضلهم لديه
اختار له افضل المعاني واعزها واشرفها وهو العلم وقال تعالى في فضل العلم
في قصة موسى والخضر عليهما السلام واذ قال موسى لفتاه لا ابرح حتى
ابلغ مجمع البحرين او امضي حقبا مع ما انطوت عليه القصة من قطع البلاد في طلبه
وركوب المشاق ولقاء النصب في سفره الى العلم يتعلمه بعد ان قال انه اعلم اهل
الارض فلما بلغ مجمع البحرين وجد الخضر عليه السلام فقال له مستلطفا مستعطفا
هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا فكان من قصتهما ما ذكر الله تعالى في
كتابه وقال ايضا في فضله في قصة سليمان عليه السلام مع الهدهد وتفقده
الطير فقال ما لي لا ارى الهدهد الى قوله لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه الى اخر
القصة توعده لما تفقده بالعذاب الشديد وبالذبح فلما اتاه قال احطت بما لم
تحط به الى قوله من الكاذبين فلا معنى اعز واشرف من العلم فلذا يختاره لانه احب
الخلق اليه واكرمهم عليه وغير ذلك من آيات كثيرة في كتاب الله تعالى تركتها مخافة
التطويل وفضله من السنة باحاديث كثيرة منها ما رواه جابر بن زيد
عن ابن عباس عن النبي عليه السلام انه قال طالب العلم عند الله افضل من الصلاة
والصيام والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله وقال عليه اذا حضرت الجنازة وحضر
مجلس العلم فاذا كان من يحضرها وادي فنها فان حضور مجلس العالم افضل من حضور
الف جنازة وعيادة الف مريض ومن صلاة الف ركعة ومن صيام الف يوم وصدقة الف

درهم

درهم ومن الف حجة سوى حجة الفريضة ومن الف غزوة سوى غزوة الواجبة
تغزوا بها في سبيل الله بمالك ونفسك فانفع من هذه المشاهد من شهد مجلس
العالم اما علمت ان الله يطاع بالعلم ويعبد بالعلم فخير الدنيا والآخرة مع العلم وشر
الدنيا والآخرة مع الجهل فقال رجل فقراءة القرآن يا رسول الله فقال عليه السلام
ويحك ما قراءة القرآن بغير علم وما الحج بغير علم وما الجهاد بغير علم اما بلغك
ان السنة تقضي على القرآن والقرآن لا يقضي على السنة وعنه عليه السلام انه
قال العلم بالتعلم والخير عادة والشر لجاجة ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين
ويلهمه رشده وعنه صلى الله عليه وسلم قال العلماء ورثة الانبيا ومعلوم
انه لا رتبة فوق النبوة ولا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة وعنه
عليه السلام من طريق جابر ابن زيد انه قال ليوم واحد من العالم الذي يعلم الناس افضل
عند الله من عبادة العابد مائة سنة وان العالم الذي يعلم الناس العلم فيستغفر له
اربعة اشياء الملائكة في السماء والطير في الهواء والهوام في البر والحيتان في
البحر وان العالم الواحد اشد على ابليس من الف مومن عابد واي شرف يزيد على شرف
من تستغفر ملائكة السماء ودواب الارض به فهو مشغول بنفسه وهم
مشغولون بالاستغفار له ومن طريق ابي هريرة ان النبي عليه السلام قال
للانبياء على العلماء فضل درجتين وللعلماء على الشهداء فضل درجة وروى انس
عن النبي عليه السلام انه قال ان الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع المملوك حتى
تجلسه مجالس الملوك وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال التفقه
في الدين حق على كل مسلم الا فتعلموا وعلموا وتفقهوا ولا تموتوا جهالا وروي

وسلمان عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما عبد الله بشيء افضل من فقه في دين
ولفقيه واحد اشد على الشيطان من الف عابد ولكل شيء عماد وعماد الدين الفقه
وروي ابو امامة قال سئل النبي عليه السلام عن رجلين احدهما عالم والاخر عابد
فقال عليه السلام فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم رجلا ابو ايوب الانصاري
قال قال النبي عليه السلام باب واحد يتعلمه المومن خير له من عبادة سنة وخير
له من عتق رقبة من ولد اسماعيل عليه السلام وان طالب العلم والمراة المطيعة لزوجها
والولد البار لوالديه يدخلون الجنة بغير حساب وعن الوضاح بن عقبة قال حفظ مسالة
خير من عبادة الف سنة ومن كتاب الضيا قال وحفظ مسالة من ساير العلوم خير من عبادة
ستة وقال ابو محمد حفظ مسالة تعدل عبادة ستين سنة وهي التي على الانسان
فرض مثل التوحيد وما لا يسع جهله ومن فتح العلم لمن يتعلمه ويحفظه فهو افضل
من الصوم والصلاة بعد اداء الفرايض وتعليم باب افضل من مائة ركعة وعن
كتاب حياة القلوب قال وروي عن النبي عليه السلام انه قال باب من العلم يتعلمه
الرجل خير له من الدنيا لو كانت لقمة في فيه فيضعها في الاخرة وعنه عليه السلام
قال خير دينكم ايسره وافضل العبادة الفقه وعنه عليه السلام من طريق جابر
بن زيد رضي الله عنه انه قال خصلتان لا تجتمعان في منافق حسن سمت وفقه في الدين
ولا تشكن في الحديث انما نعته فقهاء الزمان فانه ما اراد به الفقه الذي
ظننته وسياتي معنى الفقه ان شاء الله ادقاد رجات الفقه ان يعلم ان الاخرة خير
من الدنيا وهذا المعرفة اذا صدقت وغلبت عليه برأته من النفاق والريا
ان شاء الله وعنه عليه السلام قال افضل الناس المومن العالم الذي اذا

حتيج

فتح اليه نفع وان استغنى عنه اغنا نفسه وعنه عليه السلام قال الايمان
عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم وقيل اوحى الله عز وجل الى داود
عليه السلام اتخذ نعلين من حديد وعصا من حديد واطلب العلم حتى تتكسر العصا
وتتخرق النعلان وعنه صلى الله عليه وسلم قال اقرب الناس من درجة النبوءة
اهل العلم واهل الجهاد اما اهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل واما اهل
الجهاد فجاهدوا باسيافهم على ما جاءت به الرسل وعنه صلى الله عليه وسلم انه
قال موت قبيلة ايسر من موت عالم وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من ظن ان للعلم
غاية فقد بخسه حقه ووضعه في غير منزلته التي وضعه الله فيها حيث يقول وما
اوتيتم من العلم الا قليلا وقال عليه السلام فضل العلم خير من فضل العبادة وانما كان
كذلك لان العلم يبعث على فضل العبادة واما العبادة فقد لا تكون عبادة مع خلوها
من العلم وعنه عليه السلام قال الناس معادن فخيارهم في الجاهلية خيارهم
في الاسلام اذا فقهوا وعنه عليه السلام يوزن يوم القيامة مداد العلماء
ودم الشهداء وعنه عليه السلام قال من حفظ على امتي اربعين حديثا من السنة
حتى يؤديها اليهم كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة ومن حمل على امتي اربعين
حديثا لقي الله عز وجل يوم القيامة فقيها عالما وعنه عليه السلام من تفقه
في دين الله عز وجل كفاه الله همه ورزقه من حيث لا يحتسب وعنه عليه السلام
قال يشفع يوم القيامة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء فاعظم برتبة تتلو النبوءة

وتفضلوا الشهادة مع ما ورد في فضل الشهادة وعنه عليه السلام قال يبعث الله العباد
يوم القيامة ثم يبعث العلماء ثم يقول يا معشر العلماء اني لم اضع علمي فيكم الا
لعلمي بكم ولم اضع علمي فيكم لاعذبكم اذهبوا فقد غفرت لكم رواه الثعلبي في كتابه
وعنه عليه السلام انه قيل له يا رسول الله اي الاعمال افضل فقال عليه السلام
العلم بالله سبحانه قيل اي الاعمال تريد يا رسول الله قال العلم بالله سبحانه فقيل
نسأل عن العمل وتجيب عن العلم فقال صلى الله عليه وسلم ان قليل العمل ينفع مع العلم
وان كثير العمل لا ينفع مع الجهل وقال عليه السلام عمل قليل في علم خير من عمل كثير
في جهل وعنه عليه السلام قال اوحى الله الى ابراهيم عليه السلام اني عليم احب
كل عليم وعنه عليه السلام انه قال العالم امين الله في الارض وقال عليه
السلام صنفان من امتي اذا صلحا صلح الناس الامراء والفقهاء وعنه عليه السلام
اذا اتى علي يوم لا ازداد فيه علما يقربني الى الله عز وجل فلا بورك لي في طلوع شمس
ذلك اليوم وعنه عليه السلام قال فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر
الكواكب وفضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي فانظر كيف جعل العلم
مقارنا لدرجة النبوة وكيف حط رتبة العمل المجرد عن العلم وان كان العابد
لا يخلوا عن علم بالعبادة التي يواظب عليها ولولاه لم تكن عبادة وعنه عليه
السلام قال فضل المومن العالم على المومن العابد سبعون درجة وفي حديث
اخر ما بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة

وعنه

وعنه عليه السلام انه قال انكم اصبحتم في زمان كثير فقهاؤه قليل خطباؤه
قليل سائلوه كثير معطوه وسياتي على الناس زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه قليل
معطوه كثير سائلوه العلم فيه خير من العمل وروى الخزاعي عنه عليه السلام انه
قال نظرة الى العالم احب الي من عبادة سنة وعنه عليه السلام الا ادلكم على
اشراف اهل الجنة قالوا بلى يا رسول الله قال هم علماء امتي وامثال هذا من الاحاديث
كثير واما الاثار فروي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال عليكم بالعلم
قبل ان يرفع ورفعه بان تهلك رواته فوالذي نفسي بيده ليودن رجال قتلوا في
سبيل الله شهداء ان يبعثهم الله عز وجل علماء لما يرون من كرامتهم وان احدا لم
يولد عالما وانما العلم بالتعلم وعن الحسن قال يوزن مداد العلماء بدم الشهداء
وقال الحسن في قوله عز وجل ربنا آتنا في الدنيا حسنة قال هي العلم والعبادة
وفي الآخرة حسنة قال هي الجنة وقال مصعب بن الزبير لابنه تعلم العلم فان كان لك
مال كان لك جمالا وان لم يكن لك مال كان لك مالا وقال عبد الملك بن مروان لبنيه يا بني تعلموا
العلم فان كنتم سادة فقتم وان كنتم وسطا سدتم وان كنتم سوقة عشتم وقيل
لبعض الحكماء اي الاشياء تقتنى قال الاشياء التي اذا غرقت سفينتك سبحت معك يعني
العلم وقيل اراد بغرق السفينة هلاك بدنه بالموت وقال بعض الحكماء العلم
شرف لا قرين له والادب مال لا خوف عليه وقال بعضهم من اتخذ الحكمة لجاما اتخذه
الناس اماما ومن عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار وقال بعض البلغاء تعلم العلم

بانه يقومك ويسددك صغيرا ويقدمك ويسودك كبيرا ويصلح زيغك ويسا
دك ويرغم عدوك وحاسدك ويقوم عوجك وميلك ويجمع همتك واملك
وقال بعض العلماء من شرف العلم ان كل من نسب اليه العلم ولو في شيء حقير
فرح ومن دفع عنه حزن وقال كميل بن زياد اخذ بيدي علي بن ابي طالب كرم الله
وجهه ورضي عنه فاخرجني الى ناحية الجبانة فلما   تنفس الصعداء ثم قال لي
يا كميل ان هذه القلوب اوعية فخيرها اوعاها للخير يا كميل احفظ عني ما اقول
الناس ثلاثة عالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق لم
يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤوا الى ركن وثيق وقال ان ههنا لعلما جما واشار
بيده الى صدره لو اصبت له حملة بلى قد اصبت لقنا غير مامون يستعمل آلة الدين
في طلب الدنيا ويستظهر بحجج الله وكتابه وبنعمه على معاصيه او منقادا لاهل الحق
لا بصيرة له في احيائه يقتدح الشك في قلبه باول عارض من شبهة لا يدري اين الحق
ان قال اخطأ وان اخطأ لم يدر مشغوف بكلام بز عنه بدله فيهما بالصوم والصلاة
فهو فتنة لمن افتتن بعبادته وان من الخير كله من عرفه الله دينه وكفى بالمرء جهلا
ان لا يعرف دينه وان من ابغض خلق الله اليه عبدا وكله الله الى نفسه لا ذا ولا ذاك
او من هو منهوم باللذات سلس القياد الى الشهوات او مولعا بجمع الاموال والا
دخار منقاد الهواه وليس من دعاة الدين اقرب شبها به الانعام السائمة كذلك
يموت العلم بموت حامليه ثم قال اللهم بلى لا تخلو الارض من قائم لله عز وجل بحجة اما

ظاهرا

ظاهرا مشهورا واما خائفا مغمورا لئلا تبطل حجج الله وبيناته فكم واين اولئك
اولئك الاقلون عددا الاعظمون قدرا بهم يحفظ الله حججه حتى يودعها في قلوب
اشباههم يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك وانت تحرس المال والمال تنقصه
النفقة والعلم يزكو بالانفاق يا كميل محبة العالم دين يدان الله به تكسبه الطا
عة في حياته وجميل الاحدوثة بعد وفاته ومنفعة المال تزول بزواله والعلم
حاكم والمال محكوم عليه يا كميل مات خزان الاموال وهم احياء والعلماء باقون ما
بقي الدهر اعيانهم مفقودة وامثالهم في القلوب موجودة هجم بهم العلم على
حقيقة الامر فباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعره منه المترفون و
انسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة
بالمحل الاعلى يا كميل اولئك خلفاء الله في ارضه والدعاة الى دينه هاه هاه شوقا
الى رؤيتهم وقال ايضا العالم افضل من الصائم القائم المجاهد واذا مات العالم
ثلم في الاسلام ثلمة لا يسدها الا خلف مثله وقال ايضا نظما هو وغيره ∴

∴ الناس من جهة التمثيل اكفاء ∴ ابوهم آدم والام حواء ∴ نفس كنفس وازواج
مشاكلة ∴ واعظم خلقت فيهم واعضاء ∴ وان يكن لهم في اصلهم شرف ∴
∴ يفاخرون به فالطين والماء ∴ ما الفضل الا لاهل العلم انهم ∴ على الهدى لمن استهدى
ادلاء ∴ الناس موتى واهل العلم احياء ∴ والناس مرضى وهم فيهم اطباء ∴
∴ الناس ارض واهل العلم فوقهم ∴ سما ونورا وما في النور ظلماء ∴
∴ قل للذي يدعي في العلم معرفة ∴ علمت شيئا وغابت عنك اشياء ∴

ووزن كل امرئ ما كان يحسنه ∴ والجاهلون لاهل العلم اعداء

∴ وقدر كل امرئ ما كان يجمله ∴ وللرجال على الافعال اسماء

وقال ابو الاسود الدؤلي ليس شيء اعز من العلم الملوك حكام على الناس والعلماء

حكام على الملوك وقال علي قيمة كل امرئ ما يحسن وقيل لبعضهم هل العلم افضل

ام المال فقال بل العلم قيل فما بالنا نرى العلماء على ابواب الاغنياء ولا نكاد نرى

الاغنياء على ابواب العلماء فقال ذلك لمعرفة العلماء بمنفعته وجهل الاغنياء بفضل

العلم وقيل لبعض الحكماء لم لا يجتمع العلم والمال فقال لعز الكمال وقال ابن المعتز

في منثور الحكم العالم يعرف الجاهل لانه كان جاهلا والجاهل لا يعرف العالم

لانه لم يكن عالما ومن اعجبهم ولاجله انصرفوا عن العلم واهله انصراف الزاهدين

وانحرفوا عنه انحراف المعاندين لان من جهل شيئا عاداه قال الله سبحانه بل

كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه وقال واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم

ولذلك قال يحيى بن خالد لابنه يا بني عليك بكل نوع من العلم فان المرء عدو ما

جهل وانا اكره ان تكون عدوا لشيء من العلم بعض الشعر ∴ تفنن وخذ من كل علم

فانما ∴ يفوق امرؤ في كل فن له علم ∴ فانت عدو للذي انت جاهل ∴ به ولعلم

انت تتقنه سلم ∴ وسئل ابن المبارك عن الناس فقال العلماء فقيل من الملوك

قال الزهاد قيل من السفلة قال الذي ياكل بدينه ولم يجعل غير اهل العلم من الناس

وقال بعض الحكماء ليت شعري اي شيء فات من ادرك العلم واي شيء فات من

ادرك العلم وقال فتح الموصلي اليس المريض اذا منع الطعام والشراب والدواء

يموت

فيموت قالوا نعم قال كذلك القلب اذا منع عنه الحكمة ثلاثة ايام يموت ولقد صدق
فان غذاء القلب العلم والحكمة وبه حياته كما ان غذاء الجسم الطعام ومن فقد
العلم فقلبه ميت وموته لازم ولكنه لا يشعر به اذ حب الدنيا وشغله بها ابطل
احساسه كما ان غلبة الخوف قد تبطل احساس الم الجرح في الحال وان كان واقعا
فاذا حط الموت عنه اشغال الدنيا احس بهلاكه وتحسر تحسرا لا ينفعه وذلك
كاحساس المفيق عن سكره بما اصابه من الجراحات في حالة السكر والخوف فنعوذ بالله
من يوم كشف الغطا فان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وينشد ؞ ؞

؞ وفي الجهل قبل الموت موت لاهله ؞ فاجسامهم قبل القبور قبور ؞
؞ وان امرءا لم يحي بالعلم ميت ؞ فليس له حتى النشور نشور ؞

وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال خير سليمان عليه السلام بين العلم والمال
والملك فاختار العلم فاعطي المال والملك معه وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
انه قال ايها الناس عليكم بالعلم فان لله سبحانه رداء يحبه فمن طلب بابا من
العلم رداه الله عز وجل بردائه فان اذنب ذنبا استعتبه لئلا يسلبه رداءه ذلك
وان تطاول به ذلك الذنب وعن الاحنف بن قيس قال كاد العلماء ان يكونوا اربابا
فكل عز لم يوكد بعلم فالى ذل يصير وفي وصايا لقمان لابنه قال يا بني جالس العلماء
وزاحمهم بركبتيك فان الله سبحانه يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الارض
بوابل السماء وقال بعض العلماء اذا مات العالم بكاه الحوت في الماء والطير في
الهواء ويفقد وجهه ولا ينسى ذكره قال ووقع بعض المتعلمين بباب عالم

ثم تلاه اقتصروا عليها بما يتعجب ولا يسعم نفسا ما خرج له طعام ونفقة فقال فاقتني
رد الى تلامذته انشد من حاجتي الى طعام لابي طالب هذين كلاما ايا نزرى فاذن له العالم
واباه من كل ما سأل فخرج حتى الان فيها وهو يقول علم او فتح لفسنا فيه من مال اعنت
نفسا **فصل واما فضل العلم من جهة** المعاني والعقل اما
من جهة المعاني فوجوه كثيرة ايضا وذلك ان الله سبحانه قال في كتابه قل متاع
الدنيا قليل فقللها وصغرها مع ان العقلاء والناس عليها يقتتلون بكل الافعال
وفيما بيننا يتنافسون كل التنافس وعظم العلم وجعله خيرا كثيرا فاذا كان هذا
القليل الفاني يتنافس الناس فيه هذا التنافس ويقتتلون هذا القتال عليه
ويطلبونه هذا الطلب فهذا المعنى الذي شرفه الله وعظمه وجعله خيرا كثيرا
اولى بالتنافس فيه وشدة الحرص عليه والطلب له اذ فيه عز الدنيا والاخرة والحياة
الابدية والنجاة في العاجل والآجل وايضا فانه سبب النجاة من المهالك في الدنيا
والاخرة لان المعاصي فيها الهلاك في الدنيا والاخرة والطاعة فيها النجاة في الدنيا
والاخرة ولا يتوصل الى معرفة الطاعة والمعصية الا بالعلم والدليل على فضل العلم من جهة
العقل ايضا ان العلم سبب سعادة الانسان في الدنيا والاخرة اما في الدنيا فالعز والوقار
ونفوذ الحكم على الملوك ولزوم الاحترام في الطباع حتى ان اغبياء جهال العرب والعجم
يجدون طباعهم مجبولة على التوقير لمشايخهم لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد
من التجربة بل البهيمة من طبعها توقير الانسان لشعورها بتمييز الانسان بكمال مجاوز لدرجتها
واما في الاخرة فمعلوم ان العلم وسيلة الى السعادة الابدية وذريعة الى القرب

تحذير

من رب العالمين وان اعظم الاشياء في حق الادميين ما ادى وسيلة الى ذلك ولن يتوصل الى القرب
منه عز وجل الا بالعمل والعلم ولا يتوصل الى كيفية العمل الا بالعلم فاصل السعادة في الدنيا
والاخرة هو العلم فهو ايضا افضل الاعمال وقد سئل ابن المبارك عن الناس فقال العلماء ولم
يجعل غيرهم من الناس لان الخاصية التي بها يتميز الناس على ساير البهايم هو العلم فقيل
للانسان انسان بما هو شريف من اجله وليس ذلك بقوة شخصه فان الجمل اقوى منه
ولا بعظمه فان الفيل اعظم منه ولا بشجاعته فان السبع اشجع منه ولا بكثرة الاكل
فان الجمل اوسع بطنا منه ولا بقوة شهوة الجماع فان اخس الطيور اقوى منه سفادا
بل لم يخلق الا للعلم وبالله التوفيق **واما من جهة المحسوس**
فان هذه الصنايع كلها التي جعل الله فيها قوام المعيشة والابدان من بناء وحياكة
وخياطة الى غير ذلك من اسباب المنافع لو جهل الناس ذلك كله لاختل امرهم ومعا
شهم وانحرفت المنافع وهلك الجميع ثم راينا قدر هذا الانسان العالم بالصنعة
يكتسب منها الخير ويجلب بها منافع كثيرة والجاهل بالصنعة لا يجلب منفعة قد
تعطل من جميع المنافع وضاع واحتاج واختل امر عيشه ولا فيه فلا يستفيد من علم شيئا
من جهله قال الله تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وايضا فان الكلب
المعلم قتله للصيد ذكاة له واباحة لاكله وغير المعلم يجيف الصيد ويفسده ويحرم
اكله وكذلك العالم العامل انما تقع عبادته بعلمه والجاهل لا تقع عبادته لانه عمل بالجهل
فاجاف العبادة وافسدها كما ان الكلب غير المعلم اجاف الصيد وافسده فحرم اكله وغير
ذلك من المعاني المحسوسة في فضل العلم كثير وبالله التوفيق

الباب الثاني

في فضل التعلم والتعليم وفي هذا الباب فصلان الاول في فضيلة التعليم اما الايات
قال الله سبحانه وما كان المومنون لينفروا كافة الى قوله ولينذروا الاية وذلك
فيما وجدت في الاثر ان الناس في عهد النبي عليه السلام يخرجون جميعا في الجهاد
فنزلت هذه الاية فامرهم الله تعالى في التعليم ان ينفر بعضهم ويقعدوا بعضهم فتفرق
الغزات فيجيء هم القاعدون بما احدث الله على نبيه عليه السلام وذلك قوله
ليتفقهوا في الدين الاية وقال تعالى ايضا فسئلوا اهل الذكر الاية واما الاحاديث
الواردة في التعلم فكثيرة لقوله عليه السلام من طريق جابر بن زيد عن انس بن مالك
عن رسول الله عليه السلام قال اطلبوا العلم ولو بالصين والصين اقصى بلاد الموحدين
فلما اوجب طلب العلم بالصين دل على ان طلبه فيما دون ذلك اكثر واوجب ومن طريقه
عنه عليه السلام انه قال ان الملايكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضا لما يطلب قال
الربيع عن ابي عبيدة رحمهم الله وضع الاجنحة من الملايكة بدل من رفع الايدي في الدعاء
ومن طريق ابي هريرة عنه عليه السلام من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له
طريقا الى الجنة وعنه عليه السلام من طريق جابر بن زيد انه قال من تعلم العلم لله عز
وجل وعمل به حشره الله يوم القيامة امنا ويرزقه الورود على الحوض وعنه عليه السلام
قال لان تغدوا فتتعلم بابا من العلم خير من ان تصلي مائة ركعة وعنه عليه السلام قال
باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا وعنه عليه السلام طلب العلم فريضة على كل
مسلم وعنه عليه السلام قال العلم خزاين مفاتيحه السؤال فسئلوا فانه يوجر فيه
اربعة السايل والعالم والمحب لهم وعنه عليه السلام قال لا ينبغي للجاهل ان يسكت عن

جهله

عمله وفي حديث ابي ذر حضور مجلس عالم افضل من صلاة الف ركعة وعيادة الف مريض
وشهود الف جنازة فقيل يا رسول الله ومن قراءة القرآن فقال صلى الله عليه وسلم وهل
ينفع القرآن الا بالعلم وعنه عليه السلام قال من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي
به الاسلام فبينه وبين الانبياء درجة واحدة واما الآثار فيروى عن ابي الدرداء
انه قال لان اتعلم مسألة احب الي من قيام ليلة وقال ايضا العالم والمتعلم شريكان في الاجر
وسائر الناس همج لا خير فيه وقال ايضا كن عالما او متعلما او مستمعا ولا تكن الرابع فتهلك
وقيل للكسائي انوشروان ما بالكم لا تستفيدون من العلم شيئا الا زادكم عليه حرصا فقال
لانا لا نستفيد منه شيئا الا ازددنا بعظم منفعته علما قيل ما بالكم تانفون من التعلم
من كل احد قال لعلمنا ان العلم نافع من حيث اخذ وعن سعيد بن جبير قال كنت عند ابن عباس جالسا
اذ اتاه اهل التفسير فسالوه واتاه اهل الفقه ان فقهوا عليه ثم اتوه اهل الحلال والحرام فسالوه
ثم جاء اهل الشعر والعربية فسالوه فاخبرهم حتى جاءه فوج من اهل فارس فسالوه عن
رستم واسفنديار فحدثهم بحديثهم فقمت اليه فقبلت راسه فقلت يا ابن عم رسول الله
عليه السلام ما على الارض اعلم منك فتبسم وعن ابن عباس قال ذللت طالبا فعززت مطلوبا
وعن محمد بن كعب القرظي قال سمعت ابن عباس يقول والله لربما مررت بالآية من كتاب الله
عز وجل في جوف الليل فلا اعرف فيمن انزلت فاغير ثوبي ثم آتي المسجد واصحاب رسول الله
عليه السلام وافطن الرجل منهم واسأله فيمن نزلت آية كذا وكذا فان لم اجد عنده واحد منهم
اثنين كذلك حتى امر عليهم جميعا وربما غدوت عليهم فامر بالمهاجرين فاسالهم فان لم اجد
عندهم اتيت الانصار فاتبعهم رجلا رجلا حتى اجد حاجتي وكان فيما بلغنا ينام على ابواب الصحابة

في الصواب حتى تبلغ وجهه للتعلم منهم وكان له قلب عقول ولسان سؤول حتى
جاوا اهل زمانه علما وفقها ويسمونه البحر لما فيه من كثرة فنون العلم ويقال انه
نعت ذات يوم مع الصحابة فقال لهم سلوني ما دون السماء السابعة والارضين السفلى
اخبركم به ولذلك قال ابن ابي مليكة ما رايت مثل ابن عباس اذا رايته رايت احسن الناس
وجها واذا تكلم فافصح الناس لسانا واذا افتى فاكثر الناس علما ولما مات قال جابر
بن زيد اليوم دفن رباني هذه الامة وقال بعض العلماء تعلموا فاذا تعلمتم فاعملوا
وعلموا وقال اذا تعلمتم علما فاحفظوا عليه ولا تخلطوه بضحك ولا بباطل فتمجه القلوب
وقال بعض الحكماء لبنيه تعلموا العلم فان لم تنالوا به في الدنيا حظا فلان يذم الزمان
لكم خير من ان يذم بكم وعن الاصمعي قال راني اعرابي في البادية وانا اطلب العلم فقال
يا اخا الحضر عليك بلزوم ما انت فيه فان العلم زين في المجلس وصلة الاخوان وصاحب
في الغربة ودليل على المروءة ثم انشا يقول ∴ تعلم فليس المرء يولد عالما ∴ وليس اخو علم
كمن هو جاهل ∴ وان كبير القوم لا علم عنده ∴ صغير اذا التفت عليه المحافل ∴ الابيات
المشهورة قال ورءاني اعرابي اكتب كل ما اسمع فقال ما انت الا الحفظة تكتب لفظ
اللفظة قال ورءاني اعرابي اخر واني اكتب كل ما سمعت فقال انت حتف الكلمة الشاذة
قال بعضهم رءا اعرابي رجلا من قريش يطلب الادب فقال له اطلب الادب فانه دليل على المروءة
وزيادة في العقل وصلة في المجلس وانشد ∴ من كان للدهر قرنا في تصرفه ∴ اعرفت
له صعوة الايام تجربة ∴ من كان يخلو من الاداب سربه ∴ كر الليالي والايام فاديبا ∴ ويقال
الادب نوعان ادب درس وادب نفس وهو افضلهما ∴ وانشد ∴ ∴ ∴ ∴ ∴ ∴

ابر

الادب الثمرة كالحج ودع ما سواه بجد سر الفلاح ثـ لو وزنتم بالادب واصوله ادبا من
نحو في الجهل ربح * فصل ويروى ان النبي عليه السلام جاءه رجل من
مراد يقال له صفوان بن عسال المرادي وهو متكئ على برد له احمر في المسجد فقال
يا رسول الله جئت اطلب العلم فقال مرحبا بطالب العلم ان طالب العلم لتحف به
الملائكة وتكنفه باجنحتها ثم يركب بعضهم على بعض حتى تبلغ قوايم العرش
فيستغفرون له ويصلون عليه ويترحمون عليه لمحبتهم بما يطلب صلوات
عليهم * ابو امامة الباهلي عنه عليه السلام قال يا ايها الناس عليكم بالعلم
قبل ان يرفع وقبل ان يقبض بالعلم كهاذه من هذه وجمع بين اصبعيه الوسطى
والتي تليها شريكان في الخير واجرهم وساير الناس بعد هما وعنه عليه السلام
قال من خرج من بيته يريد مسجدي هذا لم يريد الا ليتعلم خيرا او يعلمه كان كمنزلة
المجاهد في سبيل الله قال وسمعنا عنه عليه السلام انه كان يقول ان الموت
اذا جاء طالب العلم على هذه الحالة مات شهيدا وعنه عليه السلام قال
اذا جلس العالم على فراشه فقضى في علمه ساعة كان افضل من عبادة المومن عاما
واحدا وعنه عليه السلام قال كونوا علماء فالخير فان لم تكونوا علماء فالخير
فجالسوا العلماء واسمعوا علما يدلكم على الهدى او يردكم عن الردى وعن معاذ
بن جبل رحمه الله قال في التعلم والتعليم ويقال انه مرفوع الى النبي عليه السلام
انه قال تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح
والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لاهله قربة وهو الانيس
في الوحدة والصاحب في الخلوة والدليل على السراء والضراء والوزير عند الاخلاء والقر
يب عند الغرباء ومنار سبيل الجنة يرفع الله تعالى به اقواما فيجعلهم في الخير

قادة هداة يقتدى بهم أدلة في الخير تقتص آثارهم وترمق أعمالهم ويقتدى
بفعالهم وينتهى إلى رأيهم وترغب الملائكة في خلتهم وبأجنحتها تمسحهم
وكل رطب ويابس يستغفر لهم حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه
والسماء ونجومها لأن العلم حياة القلوب من العمى ونور الأبصار من الظلمة وقوة
الأبدان من الضعف يبلغ به العبد منازل الأحرار ومجالس الملوك والدرجات العلى
في الدنيا والآخرة والتفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته تعدل بالقيام به يطاع
الله عز وجل وبه يعبد وبه يوحد وبه يمجد وبه يتورع وبه توصل الأرحام
ويعرف الحلال والحرام هو إمام والعمل تابعه يلهمه الله السعداء ويحرمه الأشقياء

الفصل الثاني في التعليم أما الآيات قال الله تعالى ولينذروا قومهم
إذا رجعوا إليهم والمراد بذلك هو التعليم والإرشاد وقال سبحانه وإذ أخذ الله
ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه في هذه الآية إيجاب
التعليم وقوله عز وجل وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون وهو تحريم
الكتمان كما قال تعالى في الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه وقال سبحانه ومن
أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال سبحانه ادع إلى ربك بالحكمة الآية وقال
تعالى ويعلمهم الكتاب والحكمة وأما الأحاديث فيروى عن النبي عليه السلام
أنه قال ما آتى الله سبحانه عالما علما إلا أخذ عليه من الميثاق ما أخذ من النبيئين
أن يبينه للناس ولا يكتمه وعنه عليه السلام لما بعث معاذا رضي الله عنه إلى اليمن
قال لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير من الدنيا وما فيها وقال عليه السلام فيما
حكي عنه من تعلم بابا من العلم ليعلم الناس أعطي ثواب سبعين صديقا وعن
عيسى عليه السلام أنه قال من علم وعمل وعلم فذلك الذي يدعى عظيما في ملكوت

السماء

السماوات وعن النبي عليه السلام انه قال اذا كان يوم القيامة يقول الله
عز وجل للعابدين والمجاهدين ادخلوا الجنة فيقول العلماء بفضل علمنا تعبدوا وجا
هدوا فيقول الله عز وجل انتم عندي كبعض ملائكتي اشفعوا فيشفعوا و
يشفعون ثم يدخلون الجنة وهذا انما يكون للعالم المتصدي للتعليم لا العالم
الذي لا يتصدى وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله لا ينزع العلم انتزاعا
ينتزعه من الناس بعد ان يوتيهم اياه ولكن يذهب العلم بذهاب العلماء فكلما
ذهب عالم ذهب بما معه من العلم حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس روسا
جهالا ان سيلوا افتوا بغير علم فيضلون ويضلون وعنه عليه السلام
انه قال من كتم علما علمه الله اياه الجمه الله بلجام من نار يوم القيامة وعنه
عليه السلام قال نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها فتنطوي
عليها ثم تحملها الى اخ لك مسلم تعلمه اياها تعدل عبادة سنة وعنه
صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله وملائكته واهل السماوات والارض حتى النملة
في جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير وعنه عليه السلام
قال ما افاد المسلم اخاه فايدة افضل من حديث حسن بلغه فبلغه اياه
وعنه عليه السلام قال كلمة من الخير يسمعها المومن فيعمل بها ويعلمها
خير له من عبادة سنة وروي انه عليه السلام خرج ذات يوم في مجلسين
احدهما يدعون الله عز وجل ويرغبون اليه والثاني يعلمون الناس فقال اما
هولاء فيسلون الله تعالى فان شاء اعطاهم وان شاء منعهم واما هولاء
فيعلمون الناس وانما بعثت معلما ثم عدل اليهم فجلس معهم وعنه صلى
الله عليه وسلم انه قال مثل ما بعثني الله عز وجل به من العلم والهدى كمثل

الغيث الكثير اصاب ارضا فكانت منها بقعة قبلت الماء فانبتت الكلا
والعشب الكثير وكانت منها بقعة امسكت الماء فنفع الله سبحانه بها الناس
فشربوا منها وسقوا وزرعوا وكانت منها طائفة قيعانا لا تمسك ماء ولا
تنبت كلا فالاول ذكره مثلا للمنتفع بعلمه والثاني للنافع والثالث للمحروم
منه وعنه عليه السلام اذا مات ابن ادم انقطع عمله الا من ثلاثة علم ينتفع به
الحديث وعنه عليه السلام الدال على الخير كفاعله وقال صلى الله عليه وسلم
على خلفائي رحمة الله قيل ومن خلفاؤك قال الذين يحيون سنتي ويعلمونها عباد الله
وعنه عليه السلام انه قال لا تمنع العلم اهله فان في ذلك فساد دينكم
والتباس بصائركم ثم قرأ ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى الاية وعنه
عليه السلام قال اذا ظهرت البدع في امتي فعلى العالم ان ينشر علمه فان لم يفعل
فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ∴ وينشد الناظم فيه بالمعنى ∴
العلم يكثر عليك بنشره ∴ والعلم اجمل ما اقتنى ∴ من كل منقبة تزينه ∴ واما
الاثار فروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال من حدث بحديث فعمل به فله
مثل اجر ذلك العامل وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال معلم الخير يستغفر له كل
شيء حتى الحوت في البحر وقال بعض العلماء العالم يدخل بين الله تعالى وبين خلقه
فلينظر كيف يدخل وقال عطاء دخلت على سعيد بن المسيب وهو يبكي فقلت
له ما يبكيك قال ليس احد يسألني عن شيء وقال بعض السلف العلماء سرج
الازمنة كل واحد مصباح زمانه يستضيء به اهل عصره وقال الحسن لولا العلماء
لصار الناس مثل البهائم يعني يخرجون الناس بالتعليم من حد البهيمية الى حد
الانسانية وقال بعض مشائخنا رحمهم الله من شان العالم فانه يورث له

هيبة

سبعة اميال من ست جهات فان مات في ذلك مات شهيدا قال والمتفقه في طلب
العلم افضل من المتفقه في الجهاد وقال النظر الى الكتاب عبادة قال وان وقف له حرف
فكان في ترداده فانه في ذلك الوقت كالمتشحط بدمه في سبيل الله و
نفسه في ذلك الوقت تسبيح وتقليبه الورقات كالمتقلب من نزعة
الى نزعة في سبيل الله وحكي عن عكرمة قال ان لهذا العلم ثمنا قيل وما هو
قال ان تضعه فيمن يحسن حمله ولا تضيعه وعن يحيى بن معاذ قال العلماء ارحم
بامة محمد عليه السلام من آبائهم وامهاتهم قيل وكيف ذلك قال لان آباءهم
وامهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وهم يحفظونهم من نار الآخرة وبالله التوفيق
فصل وينبغي للانسان بل يجب عليه فرضا ان يتعلم دينه لان بمعرفة
دينه والعمل به يستوجب الرضوان من ربه وبجهله يستوجب الخسران
من خالقه اذ لا تنفع عبادة ولا عمل لجاهل صفات ادائها ولم يعلم شروط اجزائها
ولذلك قال عليه السلام عمل قليل في علم خير من عمل كثير في جهل ويقال ركعتان
من عالم افضل من عبادة الجاهل سنة ومسألة من عالم خير من عبادة الجا
هل سنة وذكر عن ابي محمد حبيب بن ابراهيم رحمه الله انه اجتاز على
معلم في بلد تنومات عند ابي الربيع سليمان العدلوني رحمه الله فقال له المعلم
اين تريد يا فقيه فقال له جيرة يا فقيه جيرة الدنيا كلها ظلمة الا العلم والعالم
فيها دليل ركعتان من عالم خير من عبادة الجاهل ستين سنة وعبادة الجاهل
كحمار الطاحونة يدور ولا يبرح وقال بعض مشايخنا رحمهم الله من لم تكن فيه
خصلة من خصال ثلاثة فحياته كسائر الناس والبهائم توطين النفس على الحج

كفعل جابر بن زيد رحمه الله واظب عليه حتى حج اربعين حجة وتوطين النفس على
الشهادة في سبيل الله كفعل ابي بلال مرداس بن حدير رحمه الله والثالث
توطين النفس على طلب العلم والمداومة كفعل ابي عبيدة مسلم ابن ابي
كريمة رحمه الله مكث في التعلم اربعين سنة ثم مكث بعد ذلك في التعليم
اربعين سنة اخرى وروي عن ابي يوسف وجرول التنزغتي انه مكث في التعلم
بعد ما ولد خليل ابنه ثمان عشرة سنة ويقال انه مكث في طلب العلم اثنين
وثلاثين سنة خمسة عشر عند ابي محمد الكباوي وسبعة عشر سنة عند
ابي يحيى الزواوي وان ابا زكرياء الجناوني رحمه الله مكث في التعليم اثنين وثلاثين
سنة والله اعلم وقال بعض الحكماء الناس ثلاثة فروة ومغني
والثالث لا يفلح وقال الازدي الناس ثلاثة عالم رفيع ومتعلم منتفع
وما سواهما متنفع وعن علي كرم الله وجهه عن النبي عليه السلام قال ما
انتعل عبد قط ولا تخفف ولا لبس ثوبا ليغدو في طلب العلم الا غفر له حيث
يخطو عتبة باب بيته ويقال اطلبوا العلم فان نعمة الجاهل كروضة على
مزبلة وقال بعض العلماء كلما حسنت نعمة الجاهل ازداد فيها قبحا وقال
اطلبوا العلم من مظانها اي من مواضعها التي يضربها ويقال اول العلم
الصمت ثم الاستماع ثم الحفظ ثم العمل ثم نشره وقيل علم علمك من يجهله
وتعلم ممن يعلم فانك اذا فعلت ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما علمت
وقال عطاء مجلس الذكر يكفي سبعين مجلسا من مجالس اللهو وقال عمر
رضي الله عنه موت الف عابد قائم الليل صائم النهار اهون من موت عالم بصير بحلال

الحرام

الله وحرامه وقال بعض العلماء طلب العلم افضل من النافلة وقال ابو الدرداء من
راى ان الغدو الى العلم ليس بجهاد فقد نقص في رايه وعقله وقال النبي عليه
السلام لا حسد الا في اثنين رجل اتاه الله عز وجل حكمة فهو يقضي بها ويعلمها ورجل
اتاه الله مالا وسلطه على هلكته في الحق واما الدليل على فضيلة التعلم و
التعليم من شواهد العقل ومن كتاب الغزالي فانه لما كان العلم افضل الاشياء كان تعلمه
طلب للافضل وكان تعليمه للغير افادة لافضل الغير وبيانه ان مقاصد الخلق مجموعة
في الدين والدنيا ولا نظام للدين الا بنظام الدنيا فان الدنيا مزرعة للاخرة وهي الالة
الموصلة الى الله تعالى لمن اتخذها الة ومطية ومنزلا لمن اتخذها مستقرا
ووطنا وليس ينتظم امر الدنيا الا باعمال الادميين وحرفهم وصناعاتهم تنحصر في
ثلاثة اقسام احدها اصول لا قوام للخلق الا بها وهي اربعة الزراعة للمطعم والثاني
الحياكة وهي للملبس والثالث البنا وهو للمسكن والرابع السياسة
اي الحاكم بين الناس وهي للتالف والاجتماع والتعاون على اسباب المعيشة
وضبطها الثاني ما هي مهيات لكل واحدة من هذه الصناعات وخادمة
لها كالحدادة تخدم الزراعة وجملة من الصناعات وكالحلاجات والغزل فانها تخدم
الحياكة باعداد عملها الثالث ما هي متممة للاصول ومزينة كالطحانة
والخبز للزراعة وكالقصارة وكالخياطة للحياكة وذلك بالاضافة الى قوام الحيوان
الارضي مثل اجزاء الشخص بالاضافة اليه فانها ثلاثة اما اصول كالقلب والكبد والدماغ
واما خادمة له كالمعدة والعروق والشريانات والاعصاب واما مكملة لها ومزينة وافضل
اصولها السياسة بالتاليف والاصطلاح ولذلك يستخدم لا محالة صاحب صناعة

السياسة سائر الصناع والسياسة في استصلاح الخلق وإرشادهم إلى الطريق
المستقيم المنجي في الدنيا والآخرة تنقسم على أربعة مراتب الأولى وهي
العليا سياسة الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين وحكمهم على الخاصة
والعامة في ظاهرهم وباطنهم الثانية سياسة الخلفاء والملوك والسلا
طين على الخاصة والعامة جميعا لكن على ظاهرهم لا على باطنهم والثالثة سياسة
العلماء بالله عز وجل وبدينه الذين هم ورثة الأنبياء وحكمهم على باطن الخاصة
فقط ولا يرتفع فهم العامة إلى الاستفادة منهم ولا تنتهي قوتهم إلى التصرف
في ظواهرهم بالالزام والمنع الرابع سياسة الوعاظ وحكمهم على بواطن
العوام فقط وأشرف هذه السياسة الأربع بعد سياسة النبوة إفادة
العلم وتهذيب نفوس الناس عن الأخلاق المذمومة المهلكة وإرشادهم
إلى الأخلاق المحمودة المسعدة وهو المراد بالعلم قال وإنما قلنا أن هذا
أشرف من سائر الصناعات لأن شرف الصناعات يدرك بثلاثة أمور إما بالالتفات
إلى غريزة العقل التي بها يتوصل إلى معرفتها كفضل العلوم العقلية إذ تدرك الحكمة
بالعقل واللغة بالسمع والعقل أشرف من السمع وإما بالنظر إلى عموم النفع
كفضل الزراعة على الصياغة وإما بملاحظة المحل الذي فيه التصرف كفضل
الصياغة على الزباغة إذ محل أحدهما الذهب ومحل الآخر الميتة وليس يخفى أن
العلوم الدينية وهي فقه طريق الآخرة إنما تدرك بكمال العقل وصفاء الذكاء والعقل
أشرف صفات الإنسان كما تقدم إذ به تقبل أمانة الله عز وجل يوصل إلى جوار الله
سبحانه وأما عموم النفع فلا يستراب فيه إذ ثمرته نفعه سعادة الآخرة وأما شرف

المحل

الجهل ويذهب نفعها والعلم منتشر في قلوب البشر ونفوسهم واشرف موجود على الارض
جنس الانسان واشرف جزء من شخص الانسان قلبه والمعلم مشتغل بتكميله وتحليته
وتطهيره وسياقته الى القرب من جوار الله سبحانه فتعليم العلم من وجه عبادة الله
تعالى ومن وجه خلافة الله عز وجل وهو اجل خلافة لان الله سبحانه قد فتح على قلب
العالم خزانة العلم الذي هو اخص صفاته فهو كالخازن لانفس خزائنه ثم هو ماذون
في الانفاق على كل محتاج اليه فاي رتبة اجل من كون العبد واسطة بين ربه سبحانه وبين
خلقه في تقريبهم الى الله عز وجل وهديا فهم الى الجنة المأوى وبالله التوفيق الباب
الثالث في فرض العين اعلم ان كل العلوم شريفة ولكل علم منها فضيلة والاحاطة
بجميعها محال ولذلك قال النبي عليه السلام من ظن ان للعلم غاية فقد بخسه حقه وو
ضعه في غير منزلته التي وضعه الله تعالى بها حيث يقول وما اوتيتم من العلم الا قليلا و
قال سبحانه ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام الى قوله ما نفدت كلمات الله وقال بعض
الحكماء او كنا نطلب العلم لنبلغ غايته كنا قد بدانا العلم بالنقيصة وانما نطلبه
لننقص كل يوم من الجهل ونزداد كل يوم من العلم وقال بعض العلماء المتقدمين في العلم
كالسابح في البحر ليس يرى ارضا ولا يعرف طولا ولا عرضا وينشد يا نفس خوضي
بحار العلم او غوصي فالناس ما بين معموم ومخصوص لا شيء في هذه
الدنيا نحيط به الا الاحاطة منقوص عن منقوص فاذا لم يكن الى معرفة جميع
العلوم سبيل وجب صرف الاهتمام الى معرفة اهمها والعناية باولاها وافضلها
واولى العلوم واوجبها على الانسان علم دينه لان الناس بمعرفته يرشدون وب
بجهله يضلون لقوله عليه السلام طلب العلم فريضة على كل محتلم وفي حديث اخر

على كل مسلم وقوله اطلبوا العلم ولو بالصين وفي كتاب الغزالي قال اختلف الناس
في العلم الذي هو فرض على كل مسلم وتحزبوا فيه اكثر من عشرين فرقة فلا نطول بذكر
التفصيل ولكن حاصله ان كل فريق نزل الوجوب على العلم الذي هو بصدده فقال المتكلمون
هو علم الكلام اذ به يدرك التوحيد ويعلم ذات الله سبحانه وصفاته وقال الفقهاء
هو علم الفقه اذ به تعرف العبادات والحلال والحرام وما يحرم من المعاملات وما يحل وعنوا
به ما يحتاج اليه الاحاد دون الوقائع النادرة وقال المفسرون والمحدثون هو علم القرآن
والسنة اذ بهما يتوصل الى العلوم كلها وقال بعض المتصوفة هو علم العبد بحاله
ومقامه من الله عز وجل وقال بعضهم هو العلم بالاخلاص وآفات النفوس وتمييز لمة
الملك من لمة الشيطان وقال بعضهم هو علم الباطن وذلك على اقوام مخصوصين هم اهل ذلك
وصرفوا اللفظ عن عمومه وقال ابو طالب المكي هو العلم بما يتضمنه الحديث الذي
فيه مباني الاسلام وهو قوله صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس لان الواجب
هذه الخمسة فيجب العلم بكيفية العمل فيها وكيفية الوجوب والحق في هذا ان العلم
المفروض على الانسان الذي هو القطب وعليه المدار هو في الجملة ينقسم ثلاثة اقسام
اعتقاد وفعل وترك اما علم الاعتقاد فهو علم التوحيد وجميع ما لا يسع جهله كل
عاقل عند حال بلوغه بالاحتلام او بالسنين ومعرفة فرائض القلب من الاخلاص والنية
والتوبة والخوف والرجاء والتوكل والتفويض والرضا والصبر وما يسلم به العمل على
ما سياتي ان شاء الله ومعرفة الشروط وما ينفي فيه عن الله تعالى ما لا يليق به من صفات خلقه
اذ وردت على قلبه او سال عنه وكذلك يجب عليه معرفة دواعي الشر من الرياء والحسد
والعجب والكبر وغير ذلك من مذموم احوال القلب فان التفاوت في غيره ولا يمكن ذلك الا بمعرفة

حدودها

حدودها واسبابها ومعرفة علاجها فان من لم يعرف الشي يقع فيه واما الفعل
فنعني به فعل الفرايض البدنية كالطهارة والصلاة والصوم والفرايض المالية من
الزكاة والكفارات والنفقات وغيرها وما لا يمكن فعله منهما الا بالبدن والمال كالحج
والجهاد فهذه الفرايض اذا تعين دخولها على العبد بدخول اوقاتها والتمكن من ادايها
وجب عليه معرفة كيفية الاتيان بها مثل الذي يعيش من ضحوة النهار الى دخول وقت
الظهر فيتجدد عليه معرفة الطهارة والصلاة وهكذا بقية الصلوات فان عاش الى
رمضان تجدد بدخول وقته تعلم الصوم وهو ان يعلم ان وقته من الصبح الى غروب الشمس
وان الواجب فيه النية والامساك عن جميع ما ينافي الصوم واستكمال طرفي المعترض
وهو ان يصام لرؤية الشهر ويفطر لرؤيته فان كان له مال عند بلوغه او دخل في ملكه ما تجب
فيه الزكاة لزمه معرفة ما يجب عليه عند تمام الحول واداؤه الى اهله وكذلك الحج اذا وجب
عليه بشروطه ولكن لا يجب عليه المبادرة عند دخول اشهر الحج لانه على التراخي في قول
بعضهم فلا يكون علمه على الفور والذي ينبغي للعلماء ان ينبهوه على ان الحج فرض على من ملك
الزاد والراحلة وحصلت له الاستطاعة بالكمال وانه على التراخي في قول بعضهم حتى يرا
الحزم لنفسه في المبادرة فعند ذلك اذا عزم عليه لزمه تعلم كيفية الحج واركانه وواجباته
دون نوافله فان تعلم ذلك وتعلم النفل نفل وكذلك الجهاد اذا تعين عليه وذلك بان يكون اماما او
منظورا اليه لا يقوم فرض الجهاد الا به وهكذا التدرج في تعلم ساير الافعال التي هي فرض
عين واما الترك فنعني به ترك المعاصي بجميعها ظاهرها وباطنها فيجب عليه تركها ولكن
تضيق عليه معرفتها ما اخذ الشرك فانه ضيق عليه علمه ولا يسعه جهله واما غير الشرك
من جميع الحرام فانه يسع جهله ما لم يرتكبه او يتولى من ركبه او يتبرا من تبرا منه او وقف فيه

وهذا معنى قول اصحابنا رحمهم الله العلوم ثلاثة علم لا يسع جهله طرفة
عين كالتوحيد والشرك وعلم لا يسع جهله الى الورود من صفة من صفات الله
تعالى اذ وردت عليه او قبل ذلك وملك قامت به الحجة ومثل الفرائض المسمو
مات الموقتات كالصلاة والصوم وما قدمنا ذكره، **والثالث** علم ما يسع
جهله ابدا كقسمة المواريث ودقائق الربا واروش الجراحات وما اشبه
ذلك يسع جهل ذلك ما لم يبتلى بالعمل او يتقول على الله فيه الكذب وبالله
التوفيق **واما اذا اتى** بالتوحيد ومات قبل ان يجب عليه فرض او يرتكب
محرما او يقترف بدعة فيموت على الاسلام اجماعا فتبين بما قلناه ان قوله
عليه السلام اطلبوا العلم ان المراد به العلم بالله والايمان به وملائكته وكتبه
ورسله والحشر والجنة والنار وفي ساير ذلك من وظائف التوحيد والعلم
بالعبادات والفرائض حتى تؤديها بالكمال والعلم بالمعاصي حتى تجتنبها لان الا
نسان في مجاري احواله في يومه وليلته لا يخلوا من وقائع في عباداته ومعاملا
ته فيلزمه السؤال عن كل ما يقع من النوازل والمبادرة الى تعلم ما يتوقع وقوعه
على القرب غالبا فاذا انما اراد بالعلم المعرف بالالف واللام في قوله عليه السلام
طلب العلم فريضة انه علم العمل الذي هو مشهور الوجوب على المكلف لا غيره
وقد اتضح وقت التدريج في وقت وجوبه وبالله التوفيق **فصل** اعلم ان العلم
والعمل جوهران لاجلهما كان جميع ما ترا وتسمع من تصنيف المصنفين وتعلم المعلمين
بل لاجلهما انزلت الكتب وارسلت الرسل بل لاجلهما خلقت السماوات والارض
وما فيهما من الخلق بل لاجلهما خلقت الدنيا والاخرة قال الله تعالى الذي خلق سبع
سماوات

سما وتعالى قوله لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما
فكفى بهذه الاية دليلا على شرف العلم لاسيما علم التوحيد وقال عز وجل وما
خلقت الجن والانس الا ليعبدون فكفى بهذه الاية دليلا على شرف العبادة ولزومها
فاعظم الامرين هما المقصود من خلق الدارين فحق للعبد الا يشتغل الا بهما ولا يتعب
الا لهما ولا ينظر الا فيهما واعلم ان ما سواهما من الامور باطل لا خير فيه
ولغو لا حاصل له فاذا علمت ذلك فاعلم ان العلم اشرف الجوهرين وافضلهما ولذلك
قال عليه السلام فضل العالم على العابد كفضلي على امتي وعنه عليه السلام انه قال
الا ادلكم على اشراف اهل الجنة قالوا بلى يا رسول الله قال هم علماء امتي وعنه
عليه السلام قال نظرة الى العالم احب الي من عبادة سنة صيامها وقيامها روي
هذا الحديث الذي في كتابه وقد ذكرنا في فضل العلم ما فيه كفاية فبان لك ان
العلم اشرف جوهرا من العبادة ولا كن لا بد للعبد من العبادة والا كان علمه هباء
منثورا فان العلم بمنزلة الشجرة والعبادة ثمرة من ثمراتها والشرف للشجرة اذ هي الاصل
لاكن الانتفاع انما يكون بالثمرة فاذا لا بد للعبد من كلا الامرين يكون له منهما حظ
ونصيب كما قيل عن الحسن البصري انه قال اطلبوا هذا العلم طلبا لا تضروا بالعبادة
واطلبوا هذه العبادة طلبا لا تضروا بالعلم ولما استقر انه لا بد للعبد منهما جميعا
فالعلم اولى بالتقديم لانه الاصل والدليل ولذا قال عليه السلام العلم امام العمل
والعمل تابعه وانما صار العلم اصلا متبوعا فيلزمك تقديمه على العبادة لامرين
احدهما لتحصل لك العبادة وتسلم فانك احق من يجب ان تعرف به اولا المعبود عز وجل
ثم تعبده فكيف تعبد من لا تعرف باسمائه وصفات ذاته وما يجب له وما يستحيل

عليه في صفاته عز وجل لانه ربما تعتقد فيه شيئا مما خالف الحق وتكون عبادتك هباء
منثورا ثم يجب ان تعلم ما يلزمك فعله من الواجبات الشرعية لتفعل ذلك على ما امرت
به وتعلم ما يلزمك تركه من المناهي لئلا تقع في شيء من ذلك وانت جاهل بحكمه فتكون
عاصيا من حيث لا تدري كيف تقوم بطاعة لا تعرفها ما هي وكيف هي وكيف يجب ان تفعل
وكيف تجتنب المعاصي وانت لا تعلم انها معاصي حتى لا توقع نفسك فيها ولذلك
قال عليه السلام عمل قليل مع علم خير من عمل كثير في جهل فاعلم ان بناء امر العبادة على
العلم ولا سيما علم التوحيد والعبادة الباطنية وفي الخبر ان الله تعالى اوحى الى داود
عليه السلام فقال يا داود تعلم العلم النافع قال الهي وما العلم النافع قال ان تعرف
جلالي وعظمتي وكبريائي وكمال قدرتي على كل شيء فان هذا هو الذي يقربك الي واعلم
ان الخلق العظيم فيمن طلب العلم ليصرف به وجوه الناس اليه ويجالس به الامراء ويباهي
به النظراء ويتصيد به الحطام فمن كان كذلك فتجارته بائرة وصفقته خاسرة وقال
بعض السلف عملت بالمجاهدة ثلاثين سنة فما وجدت شيئا اشد من العلم وخطره
واياك ان يزين لك الشيطان فيقول اذا كان العلم بهذه الحالة من الشدة والخطر فتركه
اولى فاياك ان تظن ذلك فلقد ذكر الغزالي في كتابه ان النبي عليه السلام قال اطلعت
ليلة المعراج على النار فرايت اكثر اهلها الفقراء قالوا يا رسول الله من المال قال لا بل من
العلم فمن لم يتعلم العلم لا يتاتى له احكام العبادة والقيام بحقوقها ولو ان رجلا عبد الله تعالى
عبادة الملائكة بغير علم لكان من الخاسرين هكذا ذكره العلماء وقد قال الله تعالى قل
هل انبئكم بالاخسرين اعمالا وقوله وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وقال تعالى وبدا لهم
من الله ما لم يكونوا يحتسبون وقال سبحانه ويحسبون انهم على شيء الا انهم هم

الكاذبون

الكاذبون فيتمسك بها المستفتي شرعا ايدنا الله في طلب العلم بالبحث والجد والاجتهاد
واجتناب الكسل والملال والاقامة على خطط الضلال ووفقنا الله سبحانه واياك للعلم
النافع والعمل به وبالله التوفيق

الباب الرابع في العلم الذي هو فرض كفاية

ذكر الغزالي في كتابه فقال اعلم ان الفرض لا يتميز عن غيره الا بذكر اقسام العلم ثم
قال والعلوم بالاضافة الى الغرض الذي نحن بصدده تنقسم الى شرعية وغير شرعية
قال واعني بالشرعية ما يستفاد من الانبياء صلوات الله عليهم ولا يرشد العقل
اليه وذلك مثل الحساب ولا التجربة اليه مثل الطب ولا السماع مثل اللغة
قال والعلوم التي ليست شرعية تنقسم الى ما هو محمود والى ما هو مذموم
والى ما هو مباح فالمحمود ما يرتبط به مصالح الدنيا كالطب والحساب قال وذلك
ينقسم الى ما هو فرض كفاية والى ما هو فضيلة وليس بفريضة قال اما فرض كفاية
فهو كل علم لا يستغنى عنه في قوام امر الدنيا كالطب اذ هو ضروري في حالة بقا
الانسان وكالحساب فانه ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرهما
فهذه هي العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج اهل البلد واذا قام بها واحد
كفى وسقط الفرض عن الاخرين قال ولا تتعجب من قولنا ان الطب والحساب من فروض
الكفاية كالفلاحة والخياطة والسياسة بل الحجامة فلو خلا البلد عن حجام لتسارع
الهلاك اليهم وحرجوا بتعريضهم انفسهم للهلاك فان الذي انزل الداء انزل الدواء
وارشد الى استعماله واعد الاسباب لتعاطيه فلا يجوز التعرض للهلاك باهماله
قال واما ما يعد فضيلة لا فريضة فالتعمق في دقائق الحساب ودقائق
الطب وغير ذلك مما يستغنى عنه ولكنه يفيد زيادة قوة في القدر المحتاج اليه
قال واما المذمومة فعلم السحر والطلسمات وعلم الشعوذة و
التلبيسات قال واما المباح منه فالعلم بالاشعار التي لا سخف

فيها وتواريخ الاخبار وما يجري مجراه قال واما العلوم الشرعية وهي
المقصودة بالبيان فهي محمودة كلها ولكن قد يلتبس بها ما يظن انها شرعية
وتكون مذمومة وتنقسم الى المحمودة والمذمومة قال فاما المحمودة فلها اصول وفروع
ومقدمات ومتممات فهي اربعة اضرب الضرب الاول الاصول وهي اربعة
كتاب الله تعالى وسنة نبيه واجماع الامة واثار الصحابة رضي الله عنهم فالاجماع
اصل من حيث انه يدل على السنة لان الصحابة قد شاهدوا وهو اصل في الدرجة الثانية
وكذلك الاثر فانه يدل ايضا على السنة لان الصحابة قد شاهدوا الوحي والتنزيل وادركوا
بقرائن الاحوال ما غاب عن غيرهم عيانه فمن هذا الوجه راى العلماء الاقتداء بهم
والتمسك باثارهم وذلك بشرط مخصوص وعلى وجه مخصوص الضرب الثاني
الفروع وهو ما فهم من هذه الاصول لا بموجب الفاظها بل بمعان تنبهت لها العقول
فاتسع بسببها الفهم حتى فهم من اللفظ الملفوظ به غيره كما فهم من قوله
عليه السلام لا يقضي القاضي وهو غضبان انه لا يقضي اذا كان حاقنا او جائعا
او متالما بمرض وهذا على ضربين احدهما ان يتعلق بمصالح الدنيا ويحويه كتب الفقه و
المتكفل به الفقهاء وهم علماء الدنيا والثاني ما يتعلق بالاخرة وهو علم احوال
القلب واخلاقه المذمومة والمحمودة وما هو مرضي عند الله وما هو مكروه وتحوي
العلم بما يترشح من القلب واخلاقه المذمومة على الجوارح في عباداتها وعاداتها
الضرب الثالث المقدمات وهو الذي يجري مجرى الالات كعلم اللغة والنحو
فانهما الة لعلم كتاب الله سبحانه وسنة نبيه عليه السلام وليس اللغة والنحو
من العلوم الشرعية ولكن يلزم الخوض فيهما بسبب الشرع اذ جاءت هذه الشريعة
بلغة العرب وكل شريعة فلا تظهر الا بلغة فيصير تعلم تلك اللغة الة ومن الالات
علم الكتابة والخط الا ان ذلك ليس ضروريا اذ كان النبي اميا ولو تصور استقلال
الحفظ

المحيط بجميع ما يسمع ولا يستغني عن الكتابة ولكنه صار بحكم العجز في الغالب ضروريا **الضرب الرابع** المتممات وذلك في علم القرآن تنقسم الى ما يتعلق باللفظ كتعلم القراءات ومخارج الحروف والى ما يتعلق بالمعنى كالتفسير فان اعتماده ايضا على النقل اذ اللغة بمجردها لا تستقل به والى ما يتعلق باحكامه كمعرفة الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والباطن والظاهر في امثال ذلك وهو العلم الذي يسمى اصول الفقه ويتناول السنة ايضا **واما** المتممات في الاثار والاخبار فالعلم بالرجال واسمائهم واسماء الصحابة وصفاتهم والعلم بالعدالة في الرواة والعلم باحوالهم ليتميز الضعيف عن القوي والعلم باعمارهم ليتميز المرسل من المسند **وكذلك** ما يتعلق به فان هذه هي العلوم الشرعية وكلها محمودة بل كلها من فروض الكفاية **فان** قلت فلم الحقت الفقه بعلم الدنيا والحقت الفقهاء بعلماء الدنيا فاعلم ان الله تعالى اخرج ادم من التراب فاخرج ذريته من سلالة من طين ومن ماء دافق فاخرجهم من الاصلاب الى الارحام ومنها الى الدنيا ثم الى القبر ثم الى العرض ثم الى الجنة والنار فهذه مبداهم وهذه غايتهم وهذه منازلهم وخلق الدنيا زادا للمعاد ليتناول منها ما يصلح للتزود فلو تناولوها بالعدل لانقطعت الخصومات وتعطل الفقهاء ولكنهم تناولوها بالشهوات فتولدت منها الخصومات فمست الحاجة الى سلطان يسوسهم واحتاج السلطان الى قانون يسوسهم به فالفقيه هو العالم بقانون السياسة وطريق التوسط بين الخلق اذا تنازعوا بحكم الشهوات فكان الفقيه معلم السلطان ومرشده الى طريق سياسة الخلق وضبطهم لينتظم باستقا

شغلهم امورهم في الدنيا ولعمري هو متعلق ايضا بالدين ولكن لا بنفسه بل
بواسطة الدنيا فان الدنيا مزرعة الاخرة ولا يتم الدين الا بالدنيا والملك والدين
توامان فالدين اصل والسلطان حارس وما لا اصل له فمهدوم وما لا حارس له
فضائع ولا يتم الملك والضبط الا بالسلطان وطريق الضبط في فصل الخصومات
الفقه فكما ان سياسة الخلق بالسلطنة ليس من علم الدين في الدرجة الاولى
بل هو معين على ما لا يتم الدين الا به فكذلك معرفة طريق السياسة فمعلوم
ان الحج لا يتم الا ببذرقة تحرس من العرب في الطريق ولكن الحج شيء. وسلوك الطريق
الى الحج شيء. ثان والقيام بالحراسة التي لا يتم الحج الا بها شيء. ثالث ومعرفة
طرق الحراسة وحيلها وقوانينها شيء. رابع وحاصل فن الفقه معرفة طريق
السياسة والحراسة ويدل على ذلك ما روي مسندا لا يفتي الناس الا ثلاثة
امير او مامور او متكلف فالامير هو الامام وكانوا هم المفتون والمامور
نائبه والمتكلف غيرهما وهو الذي يتقلد تلك العهدة من غير حاجة فقد كان الصحابة
رضي الله عنهم يحترزون عنه حتى كان يحيل كل واحد منهم على صاحبه وكانوا لا
يحترزون اذا سئلوا عن علم القرآن وطريق الآخرة ولقد قبض رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن الاف من الصحابة ولم ينصب نفسه للفتوى منهم الا بضعة
عشر رجلا وكان ابن عمر منهم فكان اذا سئل عن الفتوى يقول اذهب الى هذا
الامير الذي تقلد امور الناس وضعها في عنقه اشارة الى ان الفتوى في القضايا
والاحكام من توابع الولاية والسلطنة وفي بعض الروايات بدل المتكلف
المرائي فان من تقلد خطر الفتوى وهو غير متعين للحاجة فلا يقصد به
الا طلب الجاه والمال فان قلت هذا ان استقام لك في الاحكام

- Auteur : el-Ǧirbī, al-šayḫ
ʾIsmāʿīl

- Titre : " Kitāb al-ǧuzʾu al-ʾawwal
min el-qanāṭir fī el-fiqh "
manuel de jurisprudence,
vol. I.

سنتهم أمورهم في الدنيا ولعمري هو متعلق أيضا بالدين ولكن لا بنفسه بل
بواسطة الدنيا فإن الدنيا مزرعة الآخرة ولا يتم الدين إلا بالدنيا والملك والدين
توأمان فالدين أصل والسلطان حارس وما لا أصل له فمهدوم وما لا حارس له
فضائع ولا يتم الملك والضبط إلا بالسلطان وطريق الضبط في فصل الخصومات
الفقه فكما أن سياسة الخلق بالسلطنة ليس من علم الدين في الدرجة الأولى
بل هو معين على ما لا يتم الدين إلا به فكذلك معرفة طريق السياسة فمعلوم
أن الحج لا يتم إلا ببذرقة تحرس من العرب في الطريق ولكن الحج شيء. وسلوك الطريق
إلى الحج شيء ثان والقيام بالحراسة التي لا يتم الحج إلا بها شيء ثالث ومعرفة
طريق الحراسة وحيلها وقوانينها شيء رابع وحاصل فن الفقه معرفة طريق
السياسة والحراسة ويدل على ذلك ما روي مسندا لا يفتي الناس إلا ثلاثة
أمير أو مأمور أو متكلف فالأمير هو الإمام وكانوا هم المفتون والمأمور
نائبه والمتكلف غيرهما وهو الذي يتقلد تلك العهدة من غير حاجة وقد كان الصحابة
رضي الله عنهم يحترزون عن الفتوى حتى كان يحيل كل واحد منهم على صاحبه وكانوا لا
يحترزون إذا سئلوا عن علم القرآن وطريق الآخرة ولقد قبض رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن الآلاف من الصحابة ولم ينصب نفسه للفتوى منهم إلا بضعة
عشر رجلا وكان ابن عمر منهم فكان إذا سئل عن الفتوى يقول اذهب إلى هذا
الأمير الذي تقلد أمور الناس وضعها في عنقه إشارة إلى أن الفتوى في القضايا
والأحكام من توابع الولاية والسلطنة وفي بعض الروايات بل المتكلف
المرائي أي فإن من يتقلد خطر الفتوى وهو غير متعين للحاجة فلا يقصد به
إلا طلب الجاه والمال فإن قلت هذا إن استقام لك في الأحكام